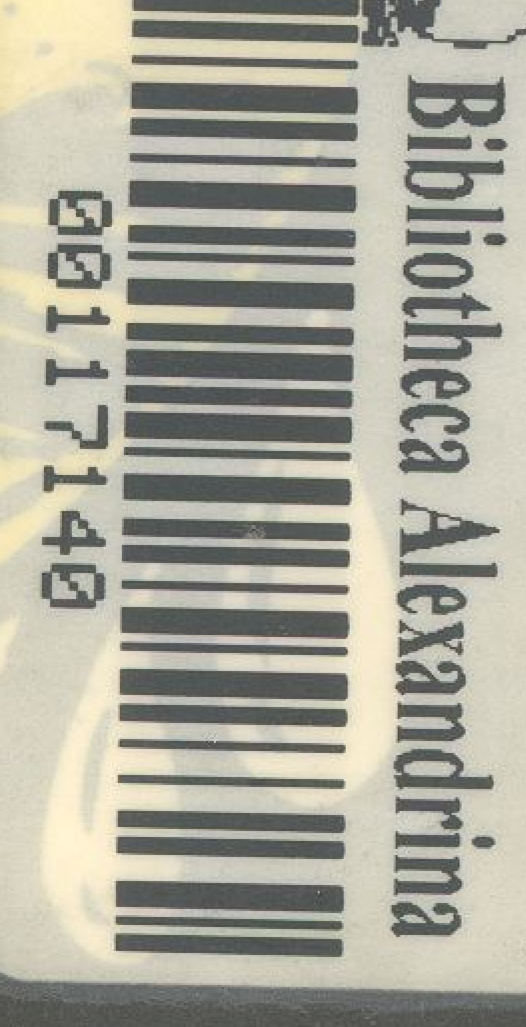
أحزان رجل لا يعرف البكاء

خالد غازي



احزان رجل لا يعرف البكاء

قصص قصيرة

خالد محمد غازي

احزان رجل لا يعرف البكاء

المؤلف : خالد غازى

الناشر: مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر

٤ ش العلمين – الكيت كات. ت: ٣٤٤٨٣٦٨

الطبعة الأولى : يوليو ١٩٩٢

رقم الايداع: ٩٢/٣٩٧٣
الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977 - 5121 - 26 - 4

إهداء

إلـــى أبـــي الرجـــل

الذي علمني كيف أرى

المؤلف

- *ما معني الشهرة ؟*

هل يكترث النهر بزبده ؟ هكذا الشهرة .. زبد متناثر من تيار الحياة .

"تاجـور"

- حقيقة أنا أمشي ببطء .. ولكن لم يحدث أبدا أنني مشيت خطوة واحدة إلي الوراء .

"ابراهام لنكولن"

- ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار ما لم تزود .

"طرفة بن العبد"

-كما نعرض أحيانا قضيبا معوجا للنار لنقوم اعوجاجه ، يعرضنا الله لنيران الحزن والأسي ليقوم نفوسنا ، ويزيد استقامتها واعتدالها .

"ارستوفانيس"

- لو أن الحقيقة صنعت امرأة جميلة ، لأحبها جميع الناس.

"افلاطون"


١
أحزان رجل
لايعرف البكاء

.. (١) ..

•وافترقنا •

.. (٢) ..

وفي المسرح الكبير دخلت أنا والرفاق .. أطفئت الأنوار .. بدأ العرض المسرحي .. الشعب يقاوم الظلم .. و " الحجاج بن يوسف الثقفي " يروي الارض بدماء الأبرياء، يفتح السجون ، يملأ بطونها بالمظلومين .. كان "الحجاج" قويا بسيفه .. مهزوما في قلبه .. وبينما ظهرت محبوبة الحجاج ظهرت امامي ، اندهشت .. أحقا هي أنت .. لا .. لا ربما بصري يخدعني ! كنت تجلسين في الصف الذي أمامي .. ورغم أنه أمامي إلا أنه يبعد عني كثيرا !!

تأملت ملامحك ، رغم الظلام المهيمن علي صالة العرض .. ملامحك اخترقت حاجز الظلام الذي دائما يفصل بين الوجوه .. ويفرقها .. نعم هي .. أنت .. بوجهك الأبيض .. بملامحك الدقيقة .. وثيابك الفضفاضة .. لمحتك تضحكين وأنت تشاهدين مشهد محبوبة الحجاج وهي تقسو عليه .. تستغل حبها وتجلده بهذا الحب .. ضحكت .. تمايلت علي كتف رفيقك الجالس بجوارك ..

بادلك ضحكة بضحكة .. همس في أذنك ، تزايد ضحكك ،

- رباه أيكون ما أراه حقيقيا أم أنني أحلم ؟!

انتبه صديقي الجالس بجواري .. نظر الي مستفسرا .. متعجبا :

- صديقي .. أتتحدث مع نفسك !

دون وعي قلت :

- ربما هي .. لكن !

صمت ، عاد يسألني وهو يتابع العرض المسرحي :

- من هي تلك التي تتحدث عنها ؟

غرقت في الصمت .. تمتم صديقي .. غمز رفيقنا الجالس بجواره .. ورمقاني بنظرة اندهاش .

.. (٣) ..

- إنني أكرهك .. وأكره أمثالك .

نعم : قلتها لك في آخر لقاء بيننا .. ابتسمت يومها بمكر وقلت :

- تكرهني ، لأني خذلتك .

- قبل أن تخذليني .. خذلت نفسك .

لم تتكلمي .. تأملتني في صمت قاتل .. أخذ يقطع كل شريان في جسدي النحيل ، لكني يومها كنت فخورا بمواجهتك .. صحيح قبل لقائي بك ، دارت في نفسي هواجس شتي " كيف أدلف معك يا حنان في حوار وكانت ذكراك مجرد ذكراك تهزني ، ورغم تلك الهزة فإنها تتحول الي رضا يتملكني ويسري في حنايا فكري وجسدي .. لغتي ياحنان تصير قزمة امامك .. وكلماتك تقهر لغتي .. وتقهر الصمت .. تقهر الزمان والمكان .. لكن الحقيقة تهتك سترها ، فتجر انيالها هابطة الي المواجهة .. وكان اللقاء .. واللقاء بك شوق يخلق كونا بعالمه ، يومها - قبل لقائك - تمنيت أن أمنح بعضا من قوتك .. من جلدك الذي عهدته فيك دائما .. وساعة أن التقينا شعرت بخيبة أمل .. أنت لست أنت .. جبروتك يذوب تحت وطأة صدقي واخلاصي، كشعاع ضئيل ، عاجلته أشعة الشمس ، فهزمته .

.. (٤) ..

انتهي الفصل الأول من المسرحية .. اضيئت أنوار المسرح للاستراحة قليلا .. قررت في التو أن أتأكد ، أهو أنت بالفعل !

أم خانني بصري .. لمح صديقي الجالس بجواري هذا العزم متجسدا في عيني ، فقال ناصحا :

- انتبه يا صديقي ، إن معها رفيقا يبدو أنه خطيبها او زوجها أو ... (قاطعته)

- لا يهم .

قمت من جلستي .. لا أخفي عليك اني شعرت بالضعف والتخاذل .. خفف من هذا الشعور في نفسي ، أن قام صديقي الثاني وقال : سأرافقك .

أظن انك نويت ان تفعلي ما انوى فعله وهو التأكد من شخصي .. وعند المواجهة .. في الممر الضيق .. رمقتني بنظرة سريعة فيها اصرار غريب .. شعرت بالخجل .. نكست رأسك .. أطال صديقي التمعن في ملامح وجهك .. بعد أن تخطيناك بخطوات .. قال صديقي :

- كنت تفضحنا بنظراتك المتحدية الممعنة لها .

لم أجب .

.. (٥) ..

وعدت الي مكانك في الصف الذي أمامي .. من جديد عاد "الحجاج" يساوم محبوبته إما أن تتزوجه أو يسجنها وقد اخترت ..

لقد عشت علي افكاري .. لا اريد ان تزعزعني اي ريح .. أيا كانت .. يوم احاطت بي الكلاب من كل النواحي ، تريد افتراسي ، تركتني وحدي بين مخالب مجهولة .. كنت أراك في سجني وفي عينيك شماته غبية :

– النضال من أجل المبدأ ، حتي وصل بك المبدأ التي الاعتقال .. الي السجن .

ارتعش لخديعتي فيك .. ارتعش رعشة تشبه ليلة عذبوني تحت الماء البارد في ليلة شتائية باردة .. انين صدري يتجاوب مع انين الغرفة الرطبة التي لا يزيد طولها عن متر وعرضها عن متر ونصف .

الدجي يرجمني .. والشمس التي انتظرها تغلق امامي نبيجة .. خافت "حنان" من شياطين الظلام .. كم قلت لك : لا اريد أن اتحول الي آلة ، مجرد آلة تحيا بميكانيكية والغي عقلي وفكري .. ورحت تبحثين عن عريس .. يتزوجك .. تتجبان ..

وتسيرون جميعا في ركب الخنوع .

ورغم كل شئ .. وبعد كل شئ ..

لم اتخل عن مبادئي .. ولم أمت .. رغم أن السوط كان دائما خلفي .

.. (٦) ..

في الفصل الأخير من المسرحية .. قرر الحجاج إعدام حبيبته !

.. (٧) ..

وأصبحت النتائج معلقة بالذاكرة لا تفارقها .. لماذا المشاهد تبدو أمامك مجزأة وناقصة ، انك لا تملكين الحجة والبرهان ! لكنني أملك الحق .. والسؤال الحزين !

لماذا تنظرين اليّ باصرار من صفك الأمامي .. تأملي ملامح وجهي جيدا .. هل حصارك لي يعني أني مهزوم ؟ !

لا .. يا أغلي الأوهام .. هبي انك لم تخلقي ، وخلقت اخري مكانك .. أليس من المحتمل أن أحبها بدلا منك !!

الحب .. آه من تلك الكلمة التي أصبحت سقيمة .. يا حنان

كل الثوابت شكلية ، فكثيرا ما نصحتك ألا تتمسكي بأشياء تافهة .. العالم لا قيمة له بدون الحنان .. خذلانك لمواقفي كان اقوي من طلقات الرصاص .. أقوي من سيوف " الحجاج " .

فيا صحوي .. هب كل شئ في كفة وحنان لو جاءت الآن طالبة العفو والغفران في كفة اخري ! من تختار ؟

كعادتك اسئلتك قنابل تحملها في فكرك ، لكنك حتما تعرف الاجابات او تعرف علي الأقل كيف تحصل علي اجابة شافية !

.. (٨) ..

وانتهت المسرحية .. لا ادري بماذا انتهت ؟

خرجنا من المسرح .. كنت تسيرين أمامنا متأبطة ذراع رفيقك .. لا .. لست أنت .. جسدك الذي أمامي الآن ضخم .. ملامحك متورمة ، متضخمة .. لست انت !

نعم : صدقوني ، انا الآن اكثر فهما وادراكا لطبيعة الأشياء .. صدقوني واعلموا أن الأشياء لا تفهم الا بالأشياء .. تعبي يزداد بالوعي ، بمعرفة أشياء لم اعرفها من قبل !! كالمنوم ، سرت خلفكما .. جذبني أحد صديقي ، قال :

– هذا تصرف غير لائق !

لا أخفي عليك ، جن جنوني ، ويلا وعي ، واصلت السير .. تطلعا الي بعضهما .. لحقا بي .. وقف احد الباصات .. صعدتما .. صعدنا ايضا .. جلس صديقاي علي المقعد الخلفي لكما .. وجلست بجواركما ، علي يمين رفيقك .. واعجبا من هذا القدر اجلس بجواركما كالغريب عنك !!!

"الحب لم يعد الا في السينما والمسلسلات وخيال المؤلفين " هكذا قلت يوما لاحدي صديقاتك .. حديثك دائما كان يعانق دفقه اعتقادي بقوتك .. الآن .. الآن انت قريبة مني ، لكني بعيد عنك .. بعيدة انت عن لغتي .. عن روحي .. عن جسدي .. فلا أستطيع التعبير عنك لنفسك كما ينبغي .. لدي احساس يعتريني انك تشعرين بحسرة الفقد .. صحيح بين الإيمان والكفر خطان هما الأمل والاصرار .. كلانا اختار !!

.. (٩) ..

تأملت صمتك .. إنه صمت متكلف .. لا تعجبي اني كشفت القناع عن وجهك !! وقعت عيناي علي يديك .. أصابعك . أظافرك ... أجل هي نفس الأصابع التي اشارت الي السماء بسخرية .

- ما نتيجة صمودك .. هل تغير شيئاً أجل : هي نفس

الأظافر التي خربشت وجه الحقيقة ، فنز وجداني حزنا .. لكني اشعر أن تلك الأظافر الآن مبتورة .. ودليلي علي ذلك انها ساكنة .. لا تتحرك .. أتكون ماتت ! قال لي يوما أبي "البتر هو الموت" .

لا .. أنا لا أحب الانتقام .. " الانتقام ضعف" هكذا علمتني أمي .. يوم كنت طفلا صغيرا وضربني ابن الجيران ، فتوعدته بالانتقام .. وعندما وعيت نصيحة أمي كثر احبائي واصدقائي .. وكثر الذين يريدون هدم نصيحتها العملاقة ..

من أنا كي أنتقم ؟!

رمقتني بنظرة سريعة .. لماذا ؟! هل تتساءلين : لماذا تتجاهلني ؟!

لا .. لست حنان !! "حنان" كانت حنونة .. عفوية .. صمتها بليغ .. أسئلتها ليست سخيفة أو مكررة !

لو كانت لديك بقايا قوة .. انظري اليّ جيدا .. نعم .. انظري اليّ جيدا اعلمت انك ضعيفة ، حتي النظرة تختلسينها !

.. (١٠) .

تهيأت ورفاقي للنزول من الباص .. نظرت الي رفاقي .. كأنك تستعطفينهم أن يستعطفوني ، لأواصل معك الرحلة .. "لا ..

لقد فات وقت الرجاء"

عندما توقف الباص ، نزلت أولا ونزل صديقاي .. نظرت اليّ نظرة طويلة ، معناها أكبر من أن يفسر .. وانطلقت السيارة لتواصل الرحلة بك وبرفيقك المجهول !

.. (١١) ..

سألني أحد صديقيّ ونحن نسير .

- هل أنت متأكد أنها هي .

- .. ..

أعاد صديقي الثاني نفس السؤال .. أجبت :

- ربما ..

- ما معني ربما ؟

- ربما هي أو ليست هي !

نظرا اليّ بذهول .. وغرقوا في الضحك والسخرية .

- عجيب أمرك .. ألا تعرف حبيبتك الأولي ! أم أن السنين أنستك ملامحها ؟

قال صديقي الثاني بإصرار :

- لدي احساس انها عرفته وكانت تراقبه طوال العرض

المسرحي .

رد صديقي الأول بعناد :

– ولدي يقين انها ليست هي ..

قلت بانفعال :

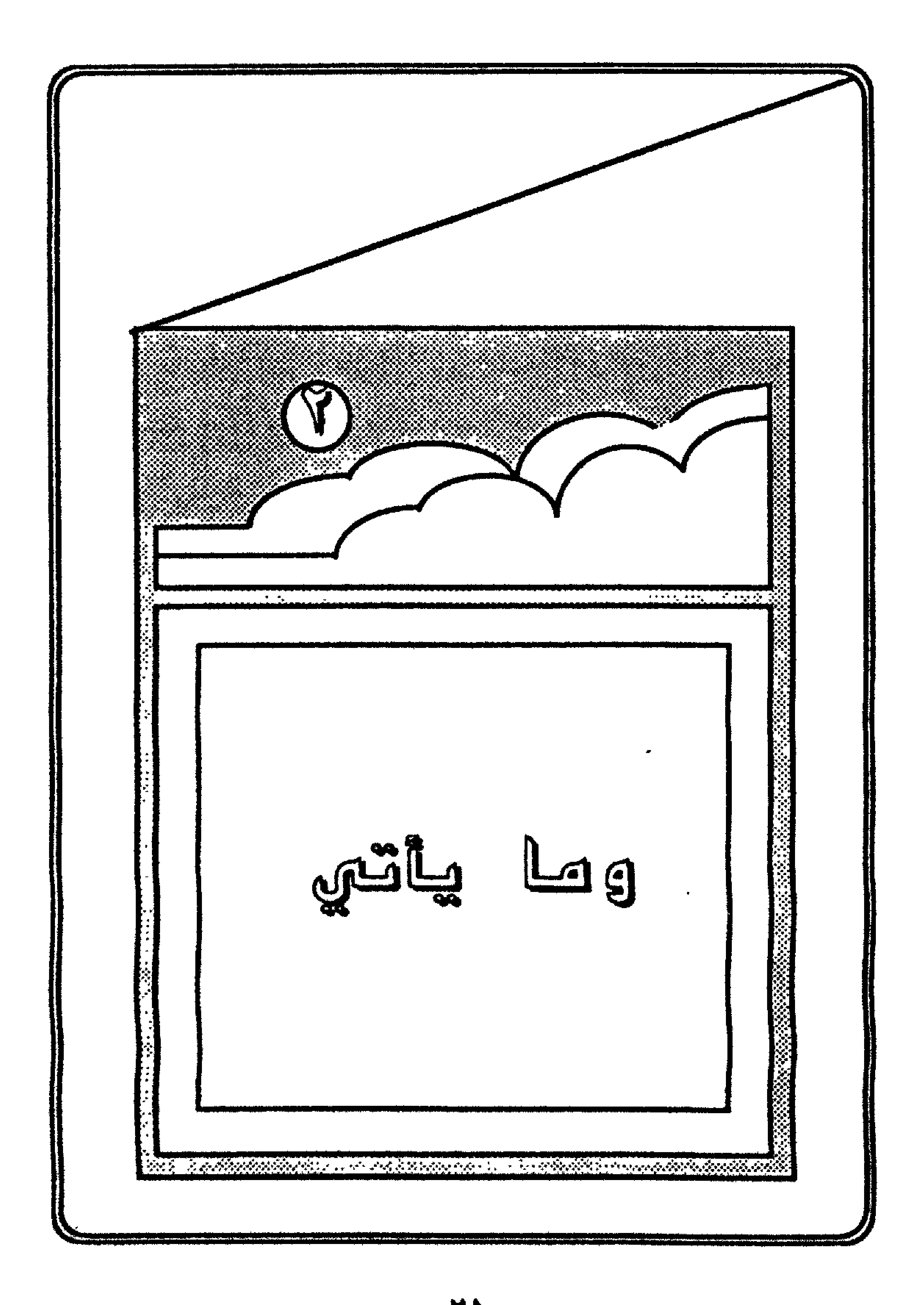
– في الماضي كنت أحبها .. أعرف ملامحها جيدا ، لأنها كانت نفس ملامحي .. أما الآن ، فلا أعرفها .. اختلطت ملامحها مع غيرها .. تبدلت ملامحها منذ أن غابت عن عالمي وعالمكم ايضا !

.. (١٢) ..

عندما خلوت بنفسي .. كنت حزينا .. حزينا .. حاولت أن ابكي ، لكن الدموع كانت عزيزة المنال .. في كل مرة أكبو فيها أقول لنفسي : ابدأ من جديد .. وابدأ من جديد .. واليوم أقول لنفسي : لماذا لا تبدأ من جديد ؟ ولكن : هل كل أناس هذا العالم سيبدأون من جديد ؟

(تمـــــت)

١٩٨٤/٣/٢٢


٢
وما يأتي

(البدايـــة)

يغفو على صوت أمه يهدهده بأغنية .. مرحة .. هامسة ، يوقظه صوتها يرتل القرآن الكريم .. تعد له طعامه .. بعد أن ينتهي من صلاته يقبل يدها ، فتدعو له بالتوفيق .. تودعه بنظراتها الحانية ، في عمله لا يعرف غير أجولة الأسمنت وأحجار البناء .. يحاول أن يستعيد أغنية أمه التي غنتها له في البارحة .. يتذكر مقطعا منها أو مقطعين يرددهما .. عندما يعود من عمله تستقبله مدللة له

- يا ضي العين وقطر الندي وشهد حياتي .

حدثته كثيرا في أمر زواجه ، لكنه كان يبتسم ويختلق الأسباب لتأجيل هذا الموضوع .

- هل مللت مني يا أماه ؟

يقولها وهو يضحك .. تغدق عليه نظرات الحنان .

- وأنت معي لا أمل أبدا ، فأنت دنياي .

(التداخل)

يا ابن الصدق والصلاح وابن العطش .. يا أيها النبض في دمنا .. الساكن في شراييننا .. بحيويتك بوهنك واصفرارك -

سلام عليك - يا ابن أمك ووحيدها .. نم مطمئنا يا صاحب النفس المطمئنة .. "يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الي ربك راضية مرضية" .

(صباح لايجيئ)

سكن في دمها .. في قلبها .. في حياتها ، عشقا صوفيا .. أسئلة كثيرة تدور .. تجول .. تصول .. تتصارع في ساحات فكرها . صوته يهمس "احك لي حكاية" .. الصوت يهمس مرة أخري "احك لي حكاية من حكاياتك الكثيرة " الصوت يعلو ويعلو .. يحاصرها بسياج من الذكري . زاغت عيناها ذهولا .. شرد فكرها .. ذرعت الطرقات .. مشطتها خطواتها .. أنكرتها الطرقات .. أنكرها الناس .. برد الشتاء لا يرحم والعطش لا يرحم .. ذهابا وايابا تجوب الطرقات .. يا للتعب الذي لا نهاية له .. الرجال يهمسون :

- لا حول ولا قوة الا بالله .

النساء في بيوتهن .. يحكين حكايات كثيرة يختتمنها بقولهن

- المرأة اختلت قواها العقلية .

الأطفال يلقونها بالحصي .. ينادون .. يهرولون وراءها "يا مخبولة" .. يسألونها :

- ومتي يأتي ابنك الغائب ؟

تتحجر الدموع في عينيها .. تهم بالانصراف .. يحاولون ايقافها .. تتمرد علي الصمت .. تقهره .. بصوت متهدج تقول :

- سيأتي الغائب يوما .

- متي ؟ .. متي ؟

- سيأتي مع صباح جديد .. عندما تشرق الشمس .. انظروا الشمس الآن يحاصرها الليل ، فتبدو منهزمة أمام جحافله .

يركض الاطفال خلفها .. يتحرشون بها .

- صفي لنا ملامحه .

- وكيف أصفه وهو فوق الوصف !!

يضحكون .. يرفعون عقيرتهم بالضحك الساخر .. يقولون بصوت جارح :

- يالك من إمرأة مخبولة .. مخبولة .

يمتلأ الجو بالغبار .. تذرع الطرقات .. ذاهبة .. قادمة ..

تردد اغنية حزينة لم تعرفها ولم ترددها من قبل .

(فاصلــة)

- لماذا لا تنتظرينه في بيتك ؟

- لقد مقت بيتي ! فكيف أعود الي مكان مقته ؟!

- ومتي يعود ؟

- عندما أبني بيتا جديدا .. ربما .. ربما يعود .

يتعجبون ..

يسخرون ..

يضحكون .

(نقطةأخيرة)

مشت كثيرا .. كثيرا . هدها التعب .. جلست علي الرصيف .. أرخت قدميها .. أرخت جسدها كله أخذها الوسن الي مملكته ، لينقذها من التعب والعطش .. أرخت أعصابها وهي تردد بصوت حزين .. حزين ، متهدج أغنية حزينة .. جموع المارة ينظرون اليها .. يتمتمون .

نامت ساعة .. ساعتين .. لا أحد يدري . تقدم أحد المارة ليوقظها وينقذها من أمطار الشتاء ، لكنه اكتشف انها ماتت .

تمــت


٣
أحزان حارتنا
القديمة

منذ زمن لم اكتب اليك ، وهذا يرجع الي سبب بسيط ، هو أن الكتابة اليك ليست بالسهولة التي تتصورينها ، أو يتصورها الناس .. الكتابة اليك تحتاج الي استعداد خاص .. الي قوة في امساك القلم .. اكتب اليك الآن ، في هذا المساء بالذات اعترتني رغبة جامحة وشعور قوي لا يقاوم في أن اكتب اليك .. شعرت أنني في حاجة اليك ، لأن أبكي بين يديك وتضميني الي صدرك تجففين دموعي .. سأحكي لك طرفا عما يحدث في المدينة .. في حارتنا التي رحلت عنها منذ سنين . حارتنا نفس الحارة .. شوارعها الضيقة ما تزال قذرة ، نهارها أشبه بالليل .. وفي الليل : الظلام الدامس يخيم علي كل شئ، الكلاب ترتع في الطرقات لم تعد تعض اللصوص بل أصبحت تعض الأبرياء من سكان الحي .. صدقيني لم تعد تطارد لصا واحدا .. كل يوم يهرع سكان الحارة فزعين .. علي صوت طفل أو امرأة أو شيخ قد عضه أحد الكلاب .

هل تذكرين الحاجة "فطومة" التي كانت تجلس في مدخل الحارة ، تفترش الأرض وتضع أمامها الصندوق المملوء بالحلوي تبيعها للصغار .. قد قلت لي ذات يوم أنك تتفائلين بهذه العجوز

.. في منتصف احدي ليالي شهر رمضان .. تناهي الي سمعي صوت صراخ وعويل .. هرولت استطلع الأمر قالوا : الحاجة فطومة قتلت وسرق صندوقها .. حققت الشرطة قالوا أن القتل كان يهدف سرقة الصندوق وما زالت الشرطة تبحث عن الجاني .. لا أحد يستطيع أن يتكلم .. للصمت سلطان علي النفوس ، أي سلطان هذا الذي يلجم النفس عن الاعتراف بالحقيقة !!

"حامد" تاجر القماش هل تذكرينه ؟! صاحب الفم الأهتم والجسد النحيف الذي كان يرتدي دائما عمامة صفراء وجلبابا بني اللون .. عندما أحدثك عن حامد أعرف انني اثير لديك الفضول .. كم قلت لي أن هذا الرجل له تصرفات مريبة تثير الشك عندك والتساؤل ، رغم تدينه .. ورغم حرصه علي أداء صلاة كل فرض في المسجد .. ورغم أن المسبحة لا تفارق يده !

فجأة .. أصبح حامد أغني رجل في حارتنا .. اشتري اكثر من نصف بيوت حارتنا وأجرها لأصحابها الأصليين .. تصرف غريب أليس كذلك !! لا أحد يستطيع تعليل هذا التصرف سوي "حامد" نفسه .. علي أي حال أصبح لدي حامد سيارة فارهة .. المدينة كلها اصبحت تتحدث عنه ومصالحها مرتبطة به .. هذا

الذي كنت تشمئزين منه اصبح له هذا الشأن !! يقول سكان حارتنا " سبب ثروة حامد انه وجد بداخل احد اتواب القماش كنزا ، واخر يقول : "انه من تجار الليل" .. ذات مساء .. وصلتني دعوة لتناول العشاء لدي حامد في منزله ، لكني رفضت .. باقي سكان حارتنا ذهبوا .. أعلم انك لو كنت موجودة بيننا لما ذهبت .. بعد رجوع سكان الحارة من حفل تناول العشاء لا [illegible] لهم الا عن السجاد المستورد الذي في منزله ، والتحف الأنيقة والستائر والعفش الذي صنع له خصيصا في بارس .. أصبح كل الذين يشككون في مصدر ثروة حامد يمجدونه ويشيدون بكرمه وشهامته .

ذات صباح : بلغنا أن حامد قد قتل !! سألنا من قتله ، قالوا : لا ندري !! مغفل من هذا الذي قتله .. كان يظن انه بموت حامد تموت اشياء كثيرة .. لكن لم يكن يعلم انه سيظهر علي مسرح احداث حارتنا حامد جديد .. وكان حامد الجديد "سعيد" ابن صاحب المقهي التي تقع في مدخل حارتنا ، نعم .. هو كما تذكرينه زميلنا في الدراسة الفاشل الذي لم يحصل علي اي شهادة دراسية .. سافر الي احدي الدول العربية منذ عامين ،

وعاد يحمل في جعبته الدولارات والدينارات .. التف حوله سكان الحارة كما فعلوا مع "حامد" وتزوج سعيد من أجمل فتاة في حارتنا .

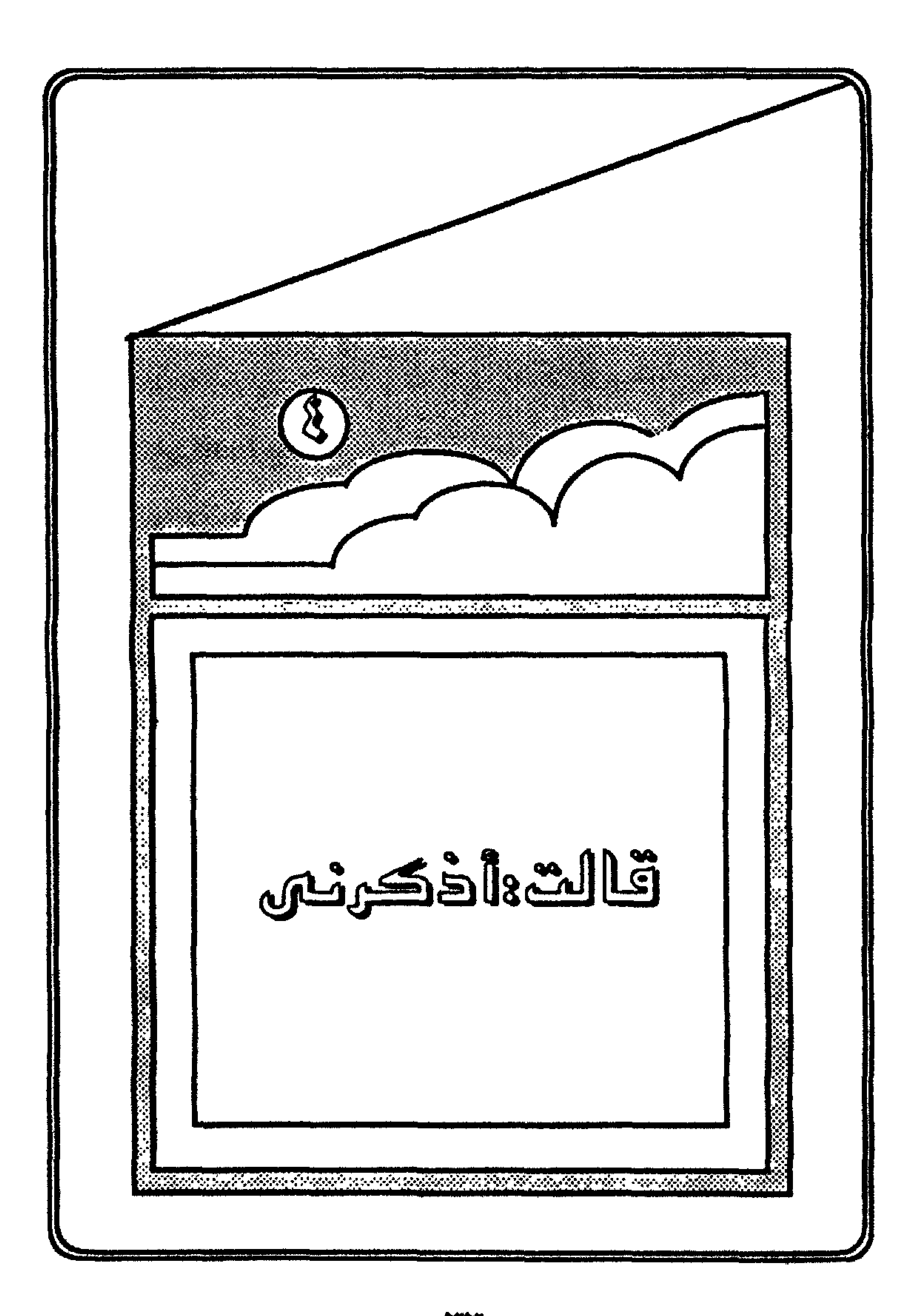
لعلي اثقلت عليك بما رويته من أشياء تحدث في حارتنا التي كانت حارتك وموطنك يوما ما .. ولكنك قلت لي في رسالتك الأخيرة .. اكتب لي عن كل شئ يحدث في الحارة مهما كان بسيطا أو تافها ..

معذرة ..

نسيت أن اقول لك .. ذهبت اصلي في جامع حارتنا ، فسرق حذائي ومن داخل بيتي سرقت ملابسي .. انني خائف .. خائف أن تسرق مني نفسي ! عودي الينا .. فنحن في حاجة اليك اكثر من أي وقت آخر .

(تمت)

١٩٨٦/١١/٢٤


٤
قالت: أذكرني

أيها الغيب ، تحجب ما تشاء .. كل آت سوف
يأتي بالقضاء .. انما الرؤيا عذاب ووجيعة .. كل
فجر صاغ للشمس دموعه . وداعا أيها الغيب
ولنصل .. ليت هذا الليل يأتي بالضياء .. ليت هذا
اليأس يتلوه الرجاء .

(من نقوش مسلة "أجا ممنون")

"انها تشبه نعنعة الماء ، لا يفضل بعضها على
بعض ، تنفث السحر كالفجر ، وتغدق السلوى
كالليل ، نفسها يتصاعد موسيقى ، وصوتها
يضوع طيبا .. "

(بودلير يجيب شـــــيطانه)

....

"ياسيدة العمر .. لا تخذليني ، وان جئتك تائبا ، فسارحيني
ولا ترديني" ، كل رسالة تأتي منها تفجر ينابيع الأمل في نفسي
.. كل رسالة منارة تهدي سفني الضالة .. نعم هي كل النساء ،
لكن حبها محنة .. لك الآن ان تسألني : كيف يكون حبها محنة ؟

أنا رجل أسكن في القاهرة وانتظر بريدها كل اسبوع ، وأطمئن نفسي منتصف كل اسبوع واقول "هاهي الرسالة في منتصف الطريق ! هذا يعني انني اتعذب !! قال صديقي : انني اتجرع من الكأس الذي اذقته للكثير من الفتيات اللائي عرفتهن .

علي جدران حجرتي .. اري ملامحها .. مرة تبتسم لي .. ومرة تعرض عني .. ومرة أراها تقفز بين اوراقي وتداعبني .. تجرأت مرة وقلت لها :

- أنا أحبك اكثر من حبك لي .

ابتسمت .. قالت بمكر ودلال انثوي : - لا أظن ان حبك لي يفوق حبي لك !

سألتها في احدي رسائلي لها "اين انا منك؟ ".. فكتبت تقول : "حقا سؤالك ادهشني ! أما زلت تسأل ؟ أم تريد أن تسمع مني ؟! اعتقد هو كذلك، لكني لا اريد أن أحد عواطفي خلال بضع سطور ، بل هي تحتاج الي ورق بعرض البحر . عندما تجده أرسله لي !! "

لا تظنوا ..

انني اكتب قصة امرأة !! بل هي شئ عظيم حضوره علي

شكل امرأة!! أتلقي رسائلها بشوق نبتة صغيرة ظمأي للري ..
صرت أعشق طوابع البريد واختام البريد السوداء والحمراء ..
واقدر الخدمات الجليلة التي تقدمها لي هيئة البريد .

لا تقل لي ..

فلنبدأ من البداية " بداية القصة " عفوا .. لا استطيع ان اجزم انني أعرف متي البداية كانت ؟ حتي هي نفسها لا تعرف متي كانت البداية ؟!

نلتقي دائما علي الورق في الرسائل .. كانت تظن ان الرسائل بمساحاتها الضيقة لا تستطيع ان تحوي مشاعرنا .. هذا صحيح ، لكنها ايضا المفتاح للولوج الي مشاعرنا ، وقد التقينا ايضا وجها لوجه هناك في مدينتها الساحلية . أو بعبارة أدق في منفاها الساحلي !!

نعم التقينا ..

يبدو انني أتورط في الكلام معك ، فمعني لقائي بها ، أن اصفها لك تلك المرأة الأسطورية .. كل ما اتذكره جيدا ، أن عينيها هما حيرتي .. ولغز حياتي ، فأنا أردت أن اكتشف لونهما ، لكني فشلت ! صحيح أنا لا اعرف الألوان جيدا ، لكن حدسي

دائما يلهمني .

أتذكر ..

وهي معي .. ونحن متجاوران .. اشرت الي البحر ، وقلت : انظري ! فنظرت وتعجبت .. قلت :

- انه يشبه عينيك ..

قالت : لكن .. عيناي ليست بلون البحر !

صمت .. صاحت : فهمت ماذا تقصد ؟

ابتسمت فرحا . حقيقة .. تمنيت ان اقبلها في تلك اللحظة ، لكني رجل جبان - جبان امامها فقط - فغزواتي وفتوحاتي شاهدة علي جرأتي في عالم النسوة .. واشد ما يؤرق تلك المرأة الاسطورية - التي احدثكم عنها - تلك الفتوحات ، التي تكره سماعها وتكره نفسها عندما تفكر فيها .

حبيبتي .. لا تستعمل المساحيق والأصباغ فوق بشرتها نهائيا .. رأيت وقابلت من هن أجمل منها ، لكنها في نفسي أجمل الجميلات - مع اعتذاري للجميلات لتحيزي السافر - لكن لا ادري عندما تتكلم لا اعرف من يشبهها .. أتأملها بحنان .. أخفي نشوتي ودهشتي .. يفضحني حبي !! آه ياسيدتي

ها أنا اصنع في الليل بابا ونافذة لفجر طال انتظاره ، فيا ايها الفجر لا تخذلني !

" .. ها أنت تسكن في النبض .. تتغلغل في ضلوعي .. صرت قضيتي ومصيري .. لا استطيع ان انكر انني حاولت طردك من مملكة مشاعري ، لكني فشلت ! أتدري لماذا ؟! لأنك اتخذت مشاعري وطنا لك .. فكيف اطردك من وطنك ؟ انني ابوح لك بهذا لأول مرة ، فلا تتعجب ولا تلمني !! كم أنا خائفة عليك .. أحبك .. لم اقلها صراحة ، لكن قالتها كل خلجة من خلجات مشاعري ، كل لفتة مني تجاهك .. كل رسالة خطها قلمي لك .. كل سطر .. كل جملة .. كل كلمة .. كل حرف ، اذن ما جدوي الاعتراف الصريح .. ألم تقل في إحدي قصصك "إن ذلك الشئ الذي يجمعنا روعته في انه معني لا يفسر "هل تقدر معني كلماتي ، وتقدر مشاعري التي ابسطها بين يديك ؟

ايها العاقل .. الطفل .. العنيد .. خائفة عليك ، وخوفي هذا يؤثر علي مشاعري وتفكيري ! أعلم أنك تواجه عراقيل لا حصر لها في بلاد تآمر فيها الدجالون علي الأنبياء ! هذه بلاد تنفي أبناءها واحدا .. واحدا في الخفاء ..

ايتها المدينة .. لا تصلبي حبيبي !

تري هل مازلت تحتفظ بالوردة الحمراء ؟

تري هل تكمل كتابة قصتنا قريبا ؟

هل عيناك ما زالتا حزينتين ، تمرح فيهما ترنحات استجوابية ولوعة حارقة ؟

هل ما زال الجرحان اللذان في جبينك يؤلمانك ؟ ..

كانت هذه رسالة من رسائلها .

هل أعتذر لك عن هذا الحب ؟ أم أعتذر لنفسي؟ . لا أدري !

من حقك أن تكتشفيني ، أنت يا من ادركت سر قوتي وضعفي .

- أنا في حاجة للبكاء ، لابد أن أراك في القاهرة ، أنا في حاجة الي صدرك ، لأبكي عليه وتضميني اليه . رغم حاجتي للبكاء ، الا أن الدموع عزيزة المنال .. أبي قال لي : " الرجل لا يبكي الا مرة واحدة في العمر ، لكنه يبكيها دما " .. ما زلت اصعد نحو قمة حبي ... خائف من فقدك .. خائف من فقد نفسي .. اراك تحدقين فيَّ ، تقولين :

يالك من كاذب ، ألم تقل لي أنك لا تخاف أبدا الا من شئ

واحد ؟

نعم .. أنا لا أخاف الا من المجهول ، انه يرعبني ، لأنه لم يولد بعد .

أرأيتم يا أصدقائي .. الي أي مدي القصة موغلة في القتامة ، لأني لا أعرف متي ابتدأت ولا أعرف متي ستنتهي . وأتمني أن اعرف قبل فوات الأوان .

وأنا في طريقي لي مكتب البريد ، أقابل أناسا ربطتني بهم عادة الرؤية اليومية .. فتلك "فاطمة" التي تبيع الورق والأقلام ، جالسة أمام مكتب البريد ، "فاطمة" هذه فقد زوجها في الحرب منذ سنوات وحتي الآن مازالت تنتظره !! قالوا : أن الدولة ستعطيها "كشكا" تبيع فيه ، لكنها مازالت تنتظر والسنوات تأكل عمرها .

وهذا هو "ماضي" أقصد الحاج "ماضي" يجلس علي كرسيه وامامه منضدة صغيرة ودواة حبر ومجموعة اوراق وتمغات .. يلجأ اليه بعض الناس لكتابة شكواهم الي المسئولين لانقطاع التيار الكهربي دائما ، وغلو الأسعار . ويكتب لهم الحوالات البريدية لأبنائهم الطلبة المغتربين ، بالاضافة الي أن "ماضي" هذا

سمسار عقارات . وسمعت من أحد اصدقائي انه يتاجر في الممنوعات .. وسألت نفسي : اذا كان هذا صحيحا فلماذا لم تقبض الشرطة عليه ؟ لكن السؤال ارتد الي نفسي حزينا ، كسير النفس !!

أقف في صف طويل ، انتظر دوري في تسجيل رسالتي .. وجها لوجه امام موظف البريد ، فتح دفتره واخذ يدون البيانات . قال معابثا : – رسالتك الأسبوعية لا تتخلف ابدا ، والرد لا يتخلف ايضا . نظرت الي وجهه بامتعاض ، لست أدري لماذا انتابتني رغبة في أن أجره من قفاه وأقول له " لا تتدخل فيما لا يعنيك " لكني كظمت غيظي " !

"آه من رسائلك .. تذهب بطيئة .. وتعود بطيئة كعصفور يعبر المحيط"

يا أنت ..

يا من تعلمين من أنت !

مدي كفيك .. انتشليني من هذا القبر الموحش .. سفني غرقي في مرافئها .

انقذيني يا سيدتي ،، فقد عزموا علي صلبي علي حدودك !

ليس ذنبي يا صديقتي أني اصبحت غريبا في وطن يقتل أبناءه .

في المساء ..

قلت سأكتب لها الليلة .. ماذا سأكتب لك الليلة ؟!

" أحاول أن ابحث عن كلمة جديدة لم يقلها الناس ، لأقولها لك .. ليتني أستطيع أن اصنع أبجدية جديدة ليتني .. حينما كتبت لك في عيد ميلاد حبنا "كل عام وانت حبيبتى " كنت أعلم اني اقود ثورة علي ماضي !! لأنني لم اكتب هذه الجملة علي بساطتها لأحد قبلك ، ولذلك ترددت كثيرا في أن اكتبها لك .. وأتساءل : هل سيأتي اليوم الذي سأكتبها لأحد بعدك .. لا أظن !!

متي تكون الكلمة بمساحة الانفعال وحجم وفائي لك بحجم كلمتي ؟!

من خلال رسائلك التي عرفت وجعا جديدا ، لم اعرفه في حياتي ، انه وجع الايجاز .. وأنا كما تعلمين طماع جدا ولا أحب الايجاز في رسائلك .

ها هم المتوحشون .. يتعقبون كلمتي لك بالرماح المسمومة

.. وتتسائلين : خبرني بما تخفيه عني ؟

أنا لا أخفي عنك شيئا سوي الشر والظلام الذي عشش في نفوس أناس لا يعرفون غيره .. وأنا لا أريدك أن تعرفي هؤلاء ! أرأيت الي اي مدي اخاف عليك !!

أريد أن اكتب كلاما لا يشابه كلام الناس ، واخترع لغة لك وحدك ، لكن ما حيلتي وعقلي محدود وهذا يجعلني اكتب كلاما كتبه ملايين غيري .. ليكن – حقا – عزائي انك تفهمين صمتي !

غريبان ..

نحن .. أعلم .. نحاول أن نسير في ركبهم .. نكابر بالحب والفرح والمستحيل .. لكن وجهك أصبح راية حزن !!

لا تبتئسي .. هذا زمان التشفي .. هذا زمان الكلاب تهر ارتياحا .. تطارد الأبرياء .. فلمن نلتجأ .. لمن نلتجأ ؟!

أنا ما جئتك مهزوما .. وما كتبت اليك مهزوما ! لكني أشعر أنهم يتآمرون علي خذلاتي !

(هل شعرت بروعة الأشياء التي لا أقولها عندما لا أقول شيئا ؟!)

حينما انتهيت من كتابة الرسالة .. وضعتها داخل مظروف .. طرق بابي عامل البريد ، مد يده لي برسالة منها .. فضضتها بسرعة .. لم تكن بها الا كلمة واحدة .. "اذكرني" .. أيقنت أنها قرأت رسالتي التي سطرتها لها قبل أن أرسلها .

تمـــت

١٩٨٩/٢/٢٧


٥
مع سبق الاصرار
والترصد

.. (١) ..

الظلام يعربد .. الرياح تزمجر .. تصنع دوامات من التراب تعلو .. وتعلو ، تعانق البيوت الكثيرة .. فاجأها بطعنة في الصدر .. رفعت نظرها اليه ذاهلة ، كأنها لا تصدق .. طعنها طعنة ثانية وثالثة ورابعة و ... هرب النبض من جسدها .

هل النجوم قد رحلت ؟ وهل الظلال مضت من غير عودة ؟

غارقة في بحيرة من سائل الحياة القاني .. عيناها جاحظتان ، تتأملان المدية التي في يده .. سال اللعاب من فمه .. وفي صمت حزين .. حزين بدأ ينزف دموعا ! يتأمل أركان الحجرة ، يتأمل السرير الوردي الذي جمعهما ساعات الصفاء ، وساعات الحزن والضياع ، تأمل الستارة المطرزة بخيوط وردية ، كم كانت له ذكريات في هذه الحجرة معها في ساعة الاشتهاء والشبق ! قبض علي المدية ، شدد من قبضته عليها ، بدأ يطعن السرير .. وقف عليه وظل يطعن الستارة تمزقت .. فلتت طعنة الي زجاج النافذة الواقعة خلف الستارة ، فانكسر الزجاج ، فدخلت الريح الغاضبة .. هائجة .. لا ضفاف لها .. استدار .. مسح دموعه ولعابه بكم قميصه جلس بجوارها .. قبلها بشفتين

مرتعشتين .. ألصق شفتيه بشفتيها القرمزتين .. تمدد في بحيرة الدم بجوارها .

.. (٢) ..

أيقظـــه ..

– لقد قتلتها كما قلت لك !

– نعم ...

– أرأيت .. كيف أن الانسان يتحول في لحظة الي قاتل !!

– ....

– حاول أن تزيل آثار الدماء التي علي يديك .

نظر الي يديه ، تأملهما .. تحسس كف يده اليمني بكف يده اليسري .. قال وهو ذاهل .

– هل دماؤها دنسة ؟ أم طاهرة عطرة ؟!

– ....

.. (٣) ..

قال المحقق :

– هي زوجتك إذن ..

- نعم

- لماذا قتلتها ؟

نظر الي المحقق نظرة ساخرة .. ولم يتكلم .. ارتفع صوت المحقق :

- انطق .. لماذا قتلتها ؟

لم يتكلم .. ازدادت نظراته سخرية عميقة .

- لابد أن تتكلم .. الصمت ليس في صالحك ، لابد أن تعلم خطورة التهمة الموجهة اليك .. القتل مع سبق الاصرار والترصد !

هز رأسه وقال : نعم .. قتلتها !

- ما الدافع وراء ارتكابك جريمة القتل ؟

ارتفع صوته .. قال بسخرية مريرة :

- ماذا يهمك من الدافع ، مهما تعددت الدوافع فالنتيجة واحدة !

- أجب بوضوح .

- لقد كانت ميتة وهي معي .. وانتقلت من موت الي موت .

- هل لديك أقوال أخري ؟

- لا ..

.. (٤) ..

في الزنزانة .. بدأ يقرأ سطور رسالة قديمة قد بعثت بها اليه قبل أن يتزوجا .. "سنلتقي ونتوحد ، لكن اذا صارت الوجوه مشوهة .. منبعجة تحت وطأة الحقد والطمع اقتلني .. لأنك عندما تقتلني ، فانك تطهرني وتقيني شر هذا العالم .. وتطهر حبنا "

بكي بحرقة "لقد انطفأت عيونك يا منبع الجمال والأمان والصدق .. كنت ضعيفا لم استطع أن احمي نبع الأمل في عينيك ولا ضحوك الرائع .

هناء .. رغم اني قتلتك فانك لا تزالين تعويذتي المشتهاة .. وانكساري وضعفي وقوتي وجبروتي .. أركض اليك .. الي صدرك الحنون ، فافتحي الأبواب ولا توصديها دوني " .

.. (٥) ..

يضحك رفاق زنزانته منه .. يتغامزون .. يتندرون .. يقتل امرأته لأنه يحبها .. ياللعجب .

رد عليهم :

– أتراني أكذب !

أجاب أحدهم : - لا سمح الله .. !

سأله واحد منهم : - كيف قتلتها ؟

- اشتريت مدية ، وفاجأتها وطعنتها عدة طعنات لا أذكر عددها ، لكني أذكر أننا كنا في ذروة لحظات الحب والنشوة .

- لماذا قتلتها ؟

- ....

غرق في الصمت ..

- لأنها تخونك مع غيرك .

أجاب بانفعال .

- لا .. لا .

- لأنك تكرهها ..

- لا .. انني أحب ..... صمت .. نظروا اليه بذهول وتعجب وحيرة .

.. (٦) ..

قال القاضي بحزم : - أنت تعترف إذن بقتل زوجتك ؟

أجاب باصرار : - نعم ..

قال القاضي : – لقد قلت في التحقيق أنك قتلتها لأنك تحبها .. مامعني هذا ؟

أجاب : – معناه لا يفهمه أمثالكم .. وإذا شرحته لكم لن تفهموه !

ارتفع اللغط في قاعة المحكمة .

سأله القاضي : هل معك من يدافع عنك ؟

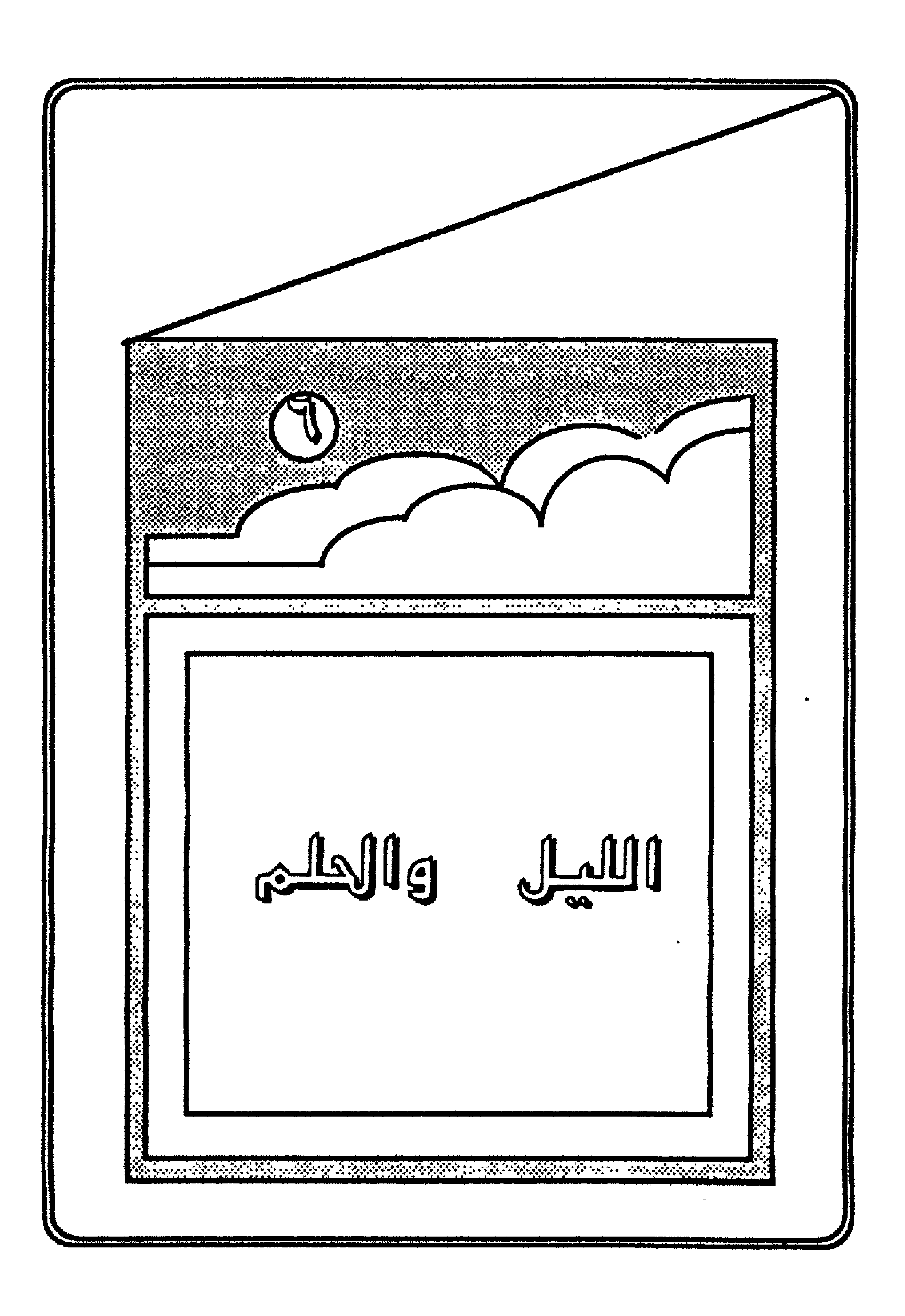
أشار بابهمه الي اللاشئ وقال : نعم .. ستدافع هي عني .. اسمعوها انها تتكلم .. "لا تشنقوه .. فمحاكمتكم ظالمة .. اسمعوه .ربما .. ربما تنصفوه وربما تنتهي بعض المهازل .. وتنتهي بعض الأحزان ، إني أحذركم من أن تنطمس المعالم وتتواري خلف ركام الظلم ياحماة العدل .. !! "

مط القاضي شفتيه بسخرية وقال :

– يرسل المتهم (.....) الي مستشفي الأمراض العقلية .

تمت

مساء ٦/٥/١٩٨٨


٦
الليل والحلم

وحيـــدا ..

خرجت، أبحث عن كوة مجهولة من نور .. توقي يسابقني اليها .. عيون خلاني ترقبني .. أسمع صوت أبي يدعو لي بأن أرجع سالما ، غانما .. القطار ينطلق ، صوت أمي يعلو فوق كل الضوضاء وهي تودعني على رصيف المحطة وتحذرني وتنصحني.

قرأت كثيرا .. وغامرت كثيرا .. وأحببت فتايات كثيرات ، منهن من أحبتني وضحت بأشياء غالية من أجلي ، ومنهن من قاومت مشاعرها ، فعرفت آلام الفشل في الحب .. ألم تجرب مرة في حياتك أن تكون محبا ولا تكون محبوبا !

أتسلق الجبال .. أعبر المحيطات .. قال صديقي : انك تذكرني بالسندباد .. ابتسمت .. كبر حلمي بداخلي .. نفسي ما زالت تضم لهيب جمر الشوق الي كوة النور .. أقف أمام مطعم يسيل لعابي .. أقاوم الجوع والعطش .. أذهب الي بائع الكتب الضرير ، اشتري كتابا ، انهل ما فيه .. يزيد توقي ، اتحسس جيبي ، عازما شراء كتاب جديد .. لكن ما معي لا يكفي لشراء كتاب جديد ! أعيد قراءة الكتاب الذي بين يدي مرات ومرات !!

أنا فارسك الأخير .. الذي يملك الأمل ويحلم بتحقيق المستحيل .. أعدك بفستان أبيض أنيق ، إذا نشرت كتابي الأول ، وسأشتري لك حذاء وحقيبة يد .

عندما ذهبت إلي مدير احدي دور النشر عارضا عليه كتابي ، مط شفتيه وقال : لا أغامر بالنشر لكاتب جديد . وعندما ذهبت الي ناشر أخر قال : نحن ننشر لكبار الكتاب فقط ، وذهبت لثالث ورابع وخامس ..

هل هي مؤامرة عليّ .. لكن ممن ؟

ذهبت الي غرفة أحد اصدقائي فوق السطوح ، كنا نجتمع عنده دائما نتحدث في الأدب والنقد والسياسة وأمور كثيرة ، لكن مجموعتنا تلك تفرقت .. منهم من اشتغل بالتجارة ، ومنهم من سافر الي بلاد النفط ومنهم من تزوج وانجب ، فنسي صداقتنا وسط هم مشاكله .

عندما جلست مع صديقي الذي كانت حجرته تجمعنا ، شعرت انه تغير ، لا ادري كيف او لماذا ؟ تحدث معي في السياسة والشعر والدين والأخلاق وقال : اننا يجب أن نبعث قيمنا النبيلة من سباتها ونتمسك بها .

لم أتكلم عن همومي ، وصديقي لم يبث اليّ همومه أيضا ، لا أدري لماذا ؟

طرق الباب .. قام صديقي وفتحه وهو يبتسم ابتسامة عريضة .. عندما دخلت سبقها عطرها الصارخ ، قبلها صديقي ، احتضنها امامي .. رنت ضحكتها . أيقنت أنها معشوقته .. ابتسمت لي ، وأومأت ايماءة لم أفهم معناها حتي الآن !! قلت في نفسي "يجب أن أودعهما" .. وأنا نازل ايقنت لماذا صديقي تغير وعرفت لماذا لم يبث إليّ همومه كعادته ؟ !!

وحيدا ..

أسير في الطريق .. لا أدري كم الساعة ؟ لكن ما أدريه أننا في وقت متأخر من الليل .. الزمن يمضي خاطفا معه العمر ، أوراق الشجر تطير فوق الأسفلت .. الهموم تكبر ، وهل أظل صامتا كحجر في قاع بركة ؟ صور كثيرة ، لا أدري كيف أتت الي ذهني ؟ لسعتني نسمة باردة ، لا أسمع سوي وقع خطواتي المتعبة .. أبصر الوجوه الكريهة وهي تسبني ، لأنني أزحت القناع عن زيفها ، رفضت المساومة ، قالوا : هذا مقابل النجاح ، صرخت بعزة واصرار : لا .. خوفي انسل من صدري كقطة

جائعة ، انسلت تبحث عن مأوي .. لقد وقفت علي عريكم ، البذرة الفاسدة لامكان لها في نفسي ، لكن ما يحزنني أن الأتقياء مازالوا مفطورين بالصمت ، فيبدو الحلو في مرارة العلقم !! أرهقتنا المحطات ، يقولون : ليس أمام السجين إلا قيده ، الحزن والخوف يلون وجوه الناس ، يقولون كلاما سخيفا بلا معني .

انتبهت ..

أجساد كثيرة تمر .. بلعت ريقي .. أشعر برغبة في القيئ .. الي متي نظل نعجن الوحل ، ونتوهم اننا نستطيع أن نصنع منه مملكة .. الي أين يسير هؤلاء .. إنهم يسيرون في اتجاه خاطئ ، وأواصل المسير ..

في طريقي ايقنت أنه الاتجاه الصحيح لعمري . وصلتني رسالة من أبي اليوم : " ياولدي .. احذر فخطوتك مراقبة ، أنت تحمل اغتيالك "

يا أبت .

خطوتي آثارها واضحة ، لا أستطيع أن انحني لأمحوها ، فالنخل لا ينحني !!

مولاتي ..

يامن تعلمين أنك نصيري وملاذي في مدن النوم .. أنا لا نصير لي ولا ملاذ لي إلاك . يامن تطلعين علي ضعفي وأنا مطارد ، انصريني .. فالمدينة تطاردني بعد أن ضبطتها في أحضان المرتشين والمنافقين .

تحسست رسالتها التي في جيبي .. وصلتني اليوم .. مابالي أتذكرها الآن وهي ترفع رأسها إليّ بين حين وأخر، ألمح في عينيها الخوف .يكسو جبينها الحزن، يخيل إليّ إنها تبكى كثيراً قبل لقائي وبعد لقائي ، اللقاء مجد والفراق خوف .. صورتها تشع في ذاكرتي اشعاع الماس في الظلام الدامس .. طفلتنا التي حلمنا بها تجمعنا .. نضمها لصدورنا .. نتوحد ثلاثتنا .

أخاف أن يأتي الوقت الذي أودعكما فيه !!

تري هل تذكرينني الآن ؟!

ذكراك تجذبني نحو السماء .. صدقني ولا تلمني واقبلني علي سجيتي!

أقف أنظر للأفق .. الدنيا غارقة في عتمة .. يخيل اليّ أنه يفتتها نور يائس ، آه من نسمة الفجر .

مولاتي ..

مازلت أتخيل فيك صمود ورق المصلحين وإيمان الأنبياء الرومانسيين

حزين .. وأنت تدرين سبب حزني .

أطلب - الآن - منك الرأي .. لأن السبل أمامي اشتبكت ، والرؤي غُيِّمَتْ ، والفكر ارتبك .

تمنيت أن أخطئ لأفوز بغضبك علي فاتوب بين يديك .

تمنيت أن أذنب لأجد بين شفتيك كلمات التسامح ، وفي صدرك فيض الغفران ..

دعيني اصارحك بسر خطير : إنني اناني لدرجة اني اخاف فقدك .

حرفان ..

هربا ..

تواجها ..

التحما ..

حاء .. باء

جلست مع أصدقائي علي المقهي .. نشرب القهوة وندخن ..

قال صديقي الشاعر الجالس عن يميني : إن ما تبحث عنه وجوده مدمر .. إنه امبراطور .. طاغية .. أشبه بهتلر أو نيرون !

حاء .. باء

تعبت من أوامر قائدك الذي يأمرني :

- تقدم للأمام .. تقدم للأمام

دخلت معارك كثيرة معه .. لكنني الآن ، أرفع راية التسليم ، بلا قيد ولا شرط ، فاحرسيني وضميني إلي جنودك .. فمفتاح عمري بين يديك ، فادخليه في سلام .

قال صديقي الجالس عن يساري : إن ما تبحث عنه مبدأ غير ديمقراطي .

كانت ليلة شتائية .. غزيرة المطر . حينما لمست يدي يدها عفوا ، انتفضت كعصفور بلله المطر .. انتابتها موجة من رفض لا شعوري ، صرخت دون وعي : لا .. حزنت .. صمت .. التمعت عيناها ، أخذتها في داخلي ، وبكيت بلا دموع . لقد خافت من الخوف ، لكنها هربت مني اليّ !! أحسست -رغم فراقنا- أنها في حاجة لأن تبكي .. وأنها كتمثال من الشمع يذوب تحت وطأة الحزن .. وتنتفض في رأسها كل المشاعر المطمورة .. أملها

الصاهل الذي توغل في ضلوعها .

قال صديقي الجالس في مواجهتي:العجز أن تنتظر العطاء .

ما زلت تنتظرين الفستان الأبيض الذي وعدتك به ، ومازال مجيئ الفستان مشروطا بتحقيق حلم مضطهد .

– لكنني أراك تغارين من الكتب والنساء .. خبريني لماذا ؟

تمتمت .. هزت رأسها .

– لا .. أنا لا أغار .

ضميني الي حنان صدرك الدافئ .. ناديني .. ناجيني ، صوتك الرخم يشعر المرء أنه جزء منه .. وهمسك وتسبيحاتك تشعرني بالإيمان والتقوي .

تستوضحني في كثير من معاني الأبيات التي أنشدها .. قالت :

–ما زلت تخفي عني اشياء كثيرة .. انك لا تحبني .

– لا أريد أن اكون اشبه بمغن ثقيل الظل ، أعاد أغنيته فمل استماعها .

لوعة حارقة مشتعلة في صدرها .. آلام ساخنة .. تنفعل . تتهدج .

- لماذا تهرب ؟

- هل أنا في حالة حب أم في حالة تأزم ؟ يكفي أن تكوني مطرا دافئا وشمسا حنونا . وصحوا لذيذا .

- تحدث .. ليكن حديثك معي نوعا من المناجاة الذاتية أو طرح استفهامات .. هيا استرجع معي ما حدث وقل لي ما يشغلك ؟

تشير اليّ بسبابتها .. يتوهج خداها باحمرار بلون الدم الطازج .. تقول .

- أنت كل الاخلاص ، فلا تكذب عليّ !

حاء .. باء .

منك سأبدأ .. لن أراود الصمت بعد اليوم .. الأصابع تتلاقى .. تتعانق .. تلتحم ..

وحيدا ..

مازلت أواصل السير .. شعرت ببرودة اطرافي .. أتاني المتنبي .. صافحني .. والمعتصم جاء وشد أذري والمعتز بالله هنأني .. هارون الرشيد ابتسم لي

عندئذ ..

بدأ يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود في السماء .

تمـــت

١٩٨٩/ ٣/ ٣


٧
من أوراق
امرأة تنتظر

قد تخلق المرأة لتكون جميلة ، ولكن جمالها لا يتفتح إلا بعد أن يتفتح قلبها للحب .

"لابروبير"

....

(الورقة الأولي)

يا أغلي الناس عندي ، يا أيها الرجل الذي ينام في ذاكرتي ويبحر في أعصابي ويسبح في شراييني وأوردتي .. يا من يملأ راحة القلب وحدقة العين .. لماذا في صوتك اتهام لي بضعف الشخصية والسلبية ؟

(الورقة الثانية)

كنت أراقبك من بعيد صامتة ، أراقب صمتك .. حديثك .. انفعالك .. ضحكاتك .. ملامح وجهك ، اتساءل بيني وبين نفسي "أي سر يكمن في انجذابي اليك ؟ لماذا وجهك يختلف عن كل الوجوه عندي ؟

(الورقة الثالثة)

أرقص في حلبة ، الجميع يصفقون لي ، معجبين ، مبهورين ، متيمين .. الزحام يتكاثف حولي والتصفيق يزداد ، آه من لك في

تصفيقهم ، يجعلني أشعر بنشوة غريبة ، أدور وأدور ،
أتمايل رغما عني، أتخبط بين جدران لا يبصرها غيري .. وحيدة
رغم كل هؤلاء الذين حولي .. ألم تبصرهم ؟! رأيتك تشق الزحام
وتخترق كل الحواجز بعناد غريب وتمسكني من يدي بقوة ،
أحاول أن أهرب من قبضتك ، فتشددها أكثر .. تجذبني الي
خارج الحلبة ، الناس يتمتمون ، تزعق في : - غبية .. سرت
رعشة في أوصالي ، من أنت .. من أنت كي تجرؤ علي اقتحام
عالمي ، من يجرؤ أن .. ماتت الكلمات في حلقي .. روحي طارت
من مكان مرتفع الي مكان اكثر ارتفاعا .. هل أنا غبية حقا ؟!
هذه أول مرة أسمعها .. لا إنك لمن الكاذبين .. إنك مغرور ،
مجنون .. قلت بهدوء وأنت تمعن التحديق في ملامحي :

- رغم كل شئ وأي شئ أنت مازلت صغيرة .

انني انوب تحت وطأة كلماتك .. أتأمل عينيك الأسرتين ،
أوغل فيهما ، فتضيع كل الاشياء وكل الأسماء ولا يبقي الا أنت
.. اسمك أنت .

(الورقة الرابعة)

اراني معك وحدك ، ألملم بعضي ، أتماسك ، أشعر بمدي

ضعفي واضمحلال معارفي وتجاربي أمامك .. أسألك وأنت المجرب ، فتجيب بوثوق وهدوء ، أتمتم وأومأ برأسي ساخرة ، مشككة ، لكنني أجدك أكبر من ضعفي .. أتهيب نشر خبايا نفسي أمامك ، فتنشرها أنت أمامي ، بجرأة لم اكن اتخيلها فيك، تعريني أمام نفسي !! تستوقفني ، تعاتبني ، أحس أنك لا تريد أن تخرجني من صدرك بقايا مرثية حزينة .. انني اصارحك يا نفسي إنني خائفة منك .. خائفة من حماقتك وغبائك .. آه آآآه .. بيني وبينك أيها الحبيب مدد طويل وطريق مقفر ، أحقا ستكون لي ؟! انشراخات عنيفة تهدد انهيار نفسي .. أهرب منك .. أبحث عن بديل ، عن شبيه لك ، لكن يخيب ظني ، لا شبيه لك ، انك موجود في كياني في كل لحظة .

أنت يا أنت .. نبشت كل مرافئ الدنيا، ابحث عن هوية لي ، فوجدتك هويتي .. يشككون في صدقك ، العيون تنظر اليك بحقد واستخفاف ولعنة ، تتربص بك الأيدي الخفية التي تحطم وتعذب وتعتقل وتقتل .. وأنت تشق طريقك بإصرار وعناد ، أشك فيك ، لمست أني أطعنك بشكي وأن حبك لي هو ضعفك .. تصرخ فيّ نفسي : الي متي تستمرين في ضعفك ، إنه حبيبك الذي اخلص

لك في حاجة اليك ، في حاجة الي نصرتك "لكني أتمادي في ضعفي ، فتكون تصرفاتي وكلماتي نصلا ينال منك أكثر وأكثر ، وأنت تتحمل كل هذا بجلد وصبر .. ألوم نفسي علي حماقتي وغبائي !! نعم : أنا غبية لأني كذبت الصدق وصدقت الكذب .. بعد كل هذا أتساءل : هل أنا حقا جديرة بحبك لي ؟ .. يأتيني صوتك : مازلت صغيرة .

(الورقة الخامسة)

مازلت سابحة في جزرك المرجانية ، أسيرة في لجتك الفيروزية ، مسحورة ببريق صدقك وجوهر اخلاصك .. أدمنتك .. والمدمن لا يريد أن يشفي .. ترشقني الحراب ، المسنونة ، المهووشة ، أكاد اسقط ، تمسكني بحنان ، رغم أن جراحك أكثر وأعمق من جرحي ، خبرني يارجل من أين لك كل هذا الصمود ؟ .. يتقاذفني الحلم الي بحار لا شطآن لها ، تمسك كفي بحنان ، أحسه يسري في أوصالي ، أصغي الي الدفء المنبعث من صوتك وأنت تفضي اليّ بمكنونات نفسك .

(الورقة السادسة)

أنا الآن اقبع في غرفتي التي تبدو قبرا ، يتميز عن كل

القبور بأن فيه انسانة تتنفس وتحلم وتتألم .. أشعر بمدي عمق كلماتك "السكوت موت بارد" أشعر بذلك الموت بين الجدران الصماء .. تؤنسني روحك كل ليلة ، فيتوقف نزيف الألم في مشاعري ، يرتعش جسدي كعصفور صغير بلله الماء ، في حاجة الي دفئك ، ليتك تأخذني في احضانك، بين ضلوعك .. يتناهي الي سمعي لحن عذب سمعناه معا .. تجلدني الذكري بسياط شوقي اليك ، هذه حقيقة "والحقائق لا تجادل" هكذا علمتني ..

انتظر مجيئك

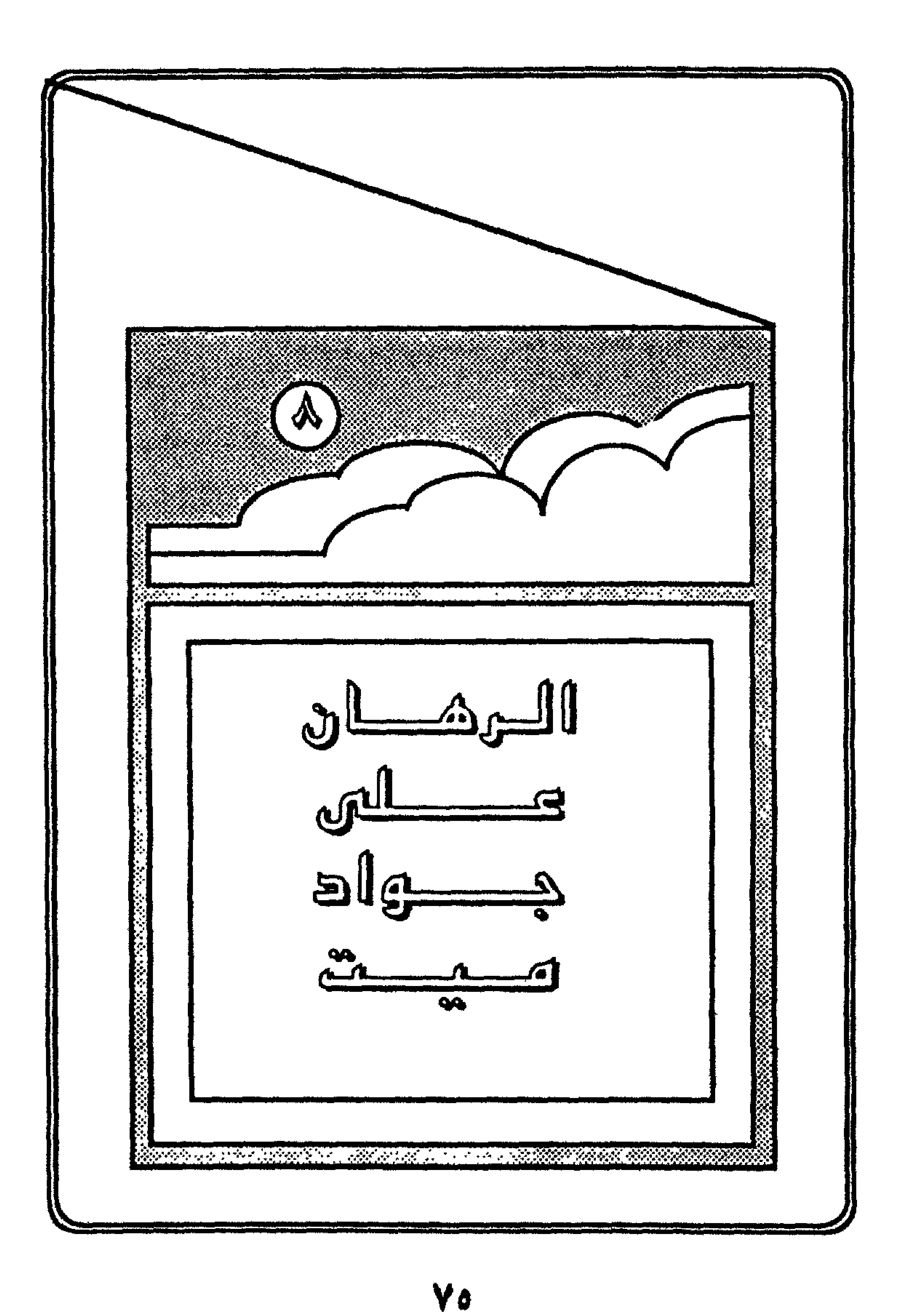
انني اعيش انتظارا مريرا أشعر أنه لا نهاية له .

افتح نافذة حجرتي، التي تعرفها ، ليتك تمر الآن ..

أيها السيد الجليل، الرائع، الصادق ، الشفاف، النقي ، لا أحد بصدري إلاك .

تمـــت

١٢ / ١١ / ١٩٨٩


٨
الرهان
على
جواد
ميت

إن اهتمامي الاول كان دائما يتعلق بالاحساس بالظلم واتخاذ موقف مضاد له .

ـ چورج أورول ـ

(الانسان وحده يستطيع أن ينتصر اذا كان ينوي بحزم أن يهب حياته الي القضية التي يحارب من أجلها)

ـ تيتو ـ

....

كنتُ أتمني أن أرفع يدي ملوحاً لها وأنا أبتسم ابتسامة مسرحية ، ساخرة وأقول لها : وداعا .

وألحق القطار قبل أن ينطلق بدوني .. كنت أتمني أن تعرف أنه لاذنب لي في هجرها .. وانما الذنب ذنبها وحتماً ستدركه في يوم من الايام .

أيها السادة :

اعذروني لتناقضي، رغم رغبتي في الرحيل عنها الا أنني لا أستطيع أن أُقدم علي هذه الخطوة . أعرف ما يدور بأذهانكم .. ستقولون عني:

ـ رجل جبان ، مخبول .

قولوا ماشئتم .. لكن كل ما أعرفه أنني أعيش عذابا من جراء تناقضي

(١) ..

"حاول ان تتذكر البداية"

ياحضرات القضاة :لماذا تصرون علي سماع أقوالي؟ أتظنون أني سأدينها أمامكم !! لا ـ والله ـ لا أستطيع .حاولوا أن تقدروا ضعف رجل تحول الحب في نفسه الي قضية جماعية .

قصة حب تتكرر آلاف المرات ، آلاف المرات كل يوم بين رجل وامرأة .. وأنا ـ ياقضاتي ـ رجل بايع امرأة تسمى "علياء" علي الصدق وكان صادقا في بيعته . وعدته بالصدق، وكل الأدلة تقول أنها نكثت بعهدها .

منذ أول لقاء سألتها : ـ أين أنا منك ؟

قالت : – بإمكانك أن تكون كل شئ بالنسبة لي .

آه من وجع الذاكرة ..

أتذكر شهرتي بين طلاب مدرستي ، كان يرضي غروري المراهق التفاف زملائي وزميلاتي حولي ، كلمات الاعجاب تعانق سمعي من الفتايات الحسناوات .. ربما تقولون إن بداياتي تتم

علي أنني رجل نرجسي ـ قولوا ما شئتم ـ كنت عندما أسأل عن اسمي ، انطقه بتمهل ..أضغط علي حروفه ، كأنني أبين للمستمع مدي خطورته وأهميته .

"علياء" كنت أسبقها بسنوات، تسرع الخطي، من بين صفوف الطالبات تتسلم شهادات التقدير علي تفوقها.. ذكية أنت !! أليس كذلك ؟! لكن : لماذا تصرفت بغباء وحماقة سخيين معي ؟ آه منك..

ياسر طانا يسري في دمي ، لا أستطيع التخلص منه .

آه منك ..

يا أول امرأة أثق فيها وأول امرأة غدرت بي .

——— .. ——— .. ———

وانطلق القطار .. ورحل بي ، خبطات عجلاته المنتظمة علي القضبان تتخم نفسي ، تعطيني احساسا بالتكرار السقيم، تبحر بي في رحلة لامنتهي لها .

.. (٢)

حضورك في هذه الدنيا أحدث انقلابا في نفسي زلزل أركان حياتي .. أنا الذي منحتك الامان ولم أبخل بالصدق .. تركتني

أخيرا ، أغوص وأغوص الي أن قاربت علي الغرق. منيت نفسي بأن الذي يغوص أكثر وأكثر سيجد اللؤلؤ والمرجان .. لكني لم أجد إلا خيبة الامل تنتظرني .

نعم :

أخذت الحب ياغالية وتركت لي نكهة الثورة وطوفان البحر .

أتذكرين :

حينما وجدت معي كتاب "الوعي والثورة" سألتني : لماذا الثورة ؟ ولم تسأليني لماذا الوعي ؟

الوعي ، لو كنت وعيته ما سلتمني لجلاد العذاب ولكلماتك التي تطلقينها كالقذائف، فتنال مني دون أن تدرين ! !

أحدثك عن أسماء كتب "عناوين "موسوعات .تنصتين إليّ بانبهار شديد، كأني أحدثك عن عالم "ألف ليلة وليلة" .. أحدثك عن الذين صمدوا وضحوا بالغالي ، وتتعجبين :

ـــ كأنك تحدثني عن نفسك .

ـــ أصدقائي هم مرآة ذاتي :

عندما أحدثك عن واحد من أصحاب المبادئ تتجنبين لحديثي ، لكنك ، تقطبين جبينك دهشة وعدم تصديق ، عندما أقول لك

وأخيرا اغتالوه .

باب الحلم ينفتح .. والذكريات الموجعة تندفع كشلال لا سدود أمامه .والتفجع سهل ، لكن ما أقسي لحظات الفجيعة للذي عاشها، تجعل بندول الساعة يتوقف.

حلمنا : أتذكرين؟ أم أنك كسائر الناس عندما يستيقظون ينسون أحلامه ! !

ألم أقل لك : أريدك أمرأة غيرعادية .. تقطبين جبينك كعادتك وأغوص وحدي في ظلمات الحيرة .

حلمنا .. نعم .

نعم .. حلمنا.

بيت واسع الردهات .. واسع الحجرات ..

وطفلة واسعة العينين ، قمرية الوجه ، شقراء الجدائل ..

عندما حاولت أن أذكرك بها ، قلت باستغراب : هل حقا ما زلت تذكرها؟ !

يا لسؤالك الساذج !!

———..———..———

توقف القطار في احدي المحطات ، صعد ركاب جدد ونزل

ركاب منه .وانطلق .. في عربة القطار التي كنت جالسا فيها لمست نشاط الركاب الجدد، انضموا الينا .. تكونت ألفة بيني وبينهم ..تحدثنا في الادب والسياسة والتاريخ والفلسفة .. وعندما عرفوا أنني صاحب قلم ، لا أستطيع أن أصف لك مدي فرحتهم ، فرحة قوم ضلوا بنبي .

قالوا : ستعبر عنا.. ستخمش الليل بقلمك .

.. (٣) ..

"علياء" همومها بسيطة ، قالت : حياتي محدودة المساحة ، كل يوم أذهب الي الكلية ومن الكلية أعود للبيت . وهكذا كل يوم أمارس روتينا يوميا .

تحدثني عن صعوبة مادة "الميكانيكا" الي تدرسها ، فأحدثها عن عمال المصانع البسطاء الذين لم ينالوا أبسط حقوقهم ، وعندما تمردوا ، قبض عليهم ولفقت لهم التهم والجنايات .

تحدثني عن صعوبة استخدام "الالآت الحاسبة" فأحدثها عن أهمية الوعي والثورة .

تحدثني عن تفوق زميل لها كل عام ، فأعطيها صورة من مقال تناولت فيه احدي قضايا التزوير .. تمسك ورقة الجريدة المنشور

بها المقال، تحاول فك رموزالحروف التي تبدو أمام عينيها ألغازا .. لاتناقشني ولا تسألني .. تحدثني عن خطبة "عفاف" وخطيبها الذي سافر الي السعودية ثاني يوم خطبتهما !!

أتقوقع في ذاتي .. أحاول أن أقربها مني .. أجمع شتات صبري .. تقول : لستُ غبية إلي درجة عدم فهمك ..ابتسم بانكسار ، أشعر أني مشلول في لساني وأعصابي .. أصمت .. تقطع صمتي بقولها : لمذا تحاول دائما أن تثبت عجزي .

—— .. —— .. ——

القطار يتلوى كثعبان ، عيناه تبرقان في الظلام ..المزارع والقري تبدو علي طول الخط الحديدي من خلال نافذة مغبرة ، يكسوها ظلام الليل ، ترتفع الموسيقي ، ويرتفع صوت الكورال : بلادي .. بلادي لك حبي وفؤادي .

سألت نادية : لماذا كل هذا الحزن ؟

قالت : لاتنكأ الجراح بأسئلتك ! !

اغرورقت عيناها بالدموع وهي تقول : - لماذا صوت الحق يصادر ؟ هل يظنون أنهم عندما ينالون أجسادنا قد انتصروا؟

وقفتْ، أمسكت بطرف بلوزتها، رفعتها إلي أعلي صدرها .

أدارت ظهرها لي .. رأيتُ الجسد الأبيض الانثوي أثار جروح متقاطعة ، استدارت .. أشارت الي أسفل بطنها : حتي هنا .. نظرت من نافذة القطار ، وجدت المساء قاتمة السواد .

..(٤)..

لم أستطع أن أكون عميلا لهم .. لا أرغب في أكون وحدا منهم ، حاولي أن تفهمي يا علياء .

أني أحترق ألما وأنت لا تدرين .. علاقتي بك غيرت موازين حياتي ، وأخشي أن تعلمني الخوف ، فأتقهقر عن مبادئي ..هل حقا عرفت كيف أفكر ؟ هل حقا عرفت ابتسامتي ليس لدرجة أنك تقليدينها، بل أصبحت هي ابتسامتك . أتعرفين أنني مراقب ..تحت عيونهم دائما ..لا تندهشي أو يعتري ملامحك الشك في صدق ماأقول أو يعتريك الخوف .

———— .. ———— .. ——

دوي صفير القطار ..

.. أبحر في تيه عابق بالمرارة والقلق .

استدعوني ، قالوا :

ـ اسمك موجود لدينا ضمن قائمة طويلة منذ سنوات ، وقد

نصحناك أكثر من مرة بطريقة غيرمباشرة بالبعد عن السياسة والتيارات الهدامة ، لكن يبدو أن النصيحة لاتجدي معك .

لم أفهم منطقهم ، لكني فهمت أنهم يهددونني ويتوعدونني .. سألت :

ـ هل هناك تهمة محددة موجهة الي ؟

ـ أنت تستغل قلمك في الترويج لأفكارهدامة ، ننصحك ألا تضيع مستقبلك من أجل حماقات ، ما المانع في أن تتعاون معنا

ـ لا أستطيع .. لا أستطيع .

(٥)

.. رغم المرارة التي في حلقي، أمسك القلم، أكتب اليك رسائلا تفوح بعبير الشوق .. أشكو اليك خوفي من ضعفي .. فأنا رجل لا أعرف الحالة الوسطي بين الاشياء .. لا أعرف سوي لونين .. الابيض والاسود..

لا أعرف اللون الرمادي الذي يخيم علي حياتنا الآن.

ونلتقي . . ونلتقي ..

تتعانق أيدينا

.. يخيل إلي انها تتحد ، أن خطانا تسير في طريق واحد،
مازال طعم كلمات "علياء" في أذني وشوقي لسماعها يجلدني :

ـــ أحبك أكثر من ذاتي .

ـــ أتمني ألا تكوني امرأة من النوع الزئبقي المتقلب .

ـــ حبي لك بذرة كل يوم تنمو وتنمو .

يانهرا من دفء وحنان .

يا وجها يرشف منه البدر العشق ،

ويأخذ من عينيك النجلاوين السحر ، ليروي قلوب العشاق ويسكرهم .

يا وجها يحملني لبلاد أسطورية ،

وتجيئين .. تغنين .. نسهر نتسامر عند بيوت الناس الفقراء .

ـــــ .. ـــــ .. ـــــ

حينما توقف القطار في احدي محطاته .. وجدتها تنتظرني .قالت :

ـــ سأنتظرك في كل محطات العمر .

ذاتي أنت .. مرآتي .. تراتيل صلاتي .

أأسلوك ..!!

كيف وأنت الحياة .

ما زلت ترانيم النجوي والسلوي .

لك العمر قنديل وزيت .

لك العمر قنديل وزيت .

ارتفع صفير القطار المتحشرج ..أمسكت بيدها، تركتها تنام بين يدي في سكون ودعة، عيونها يفيض منها الحزن والخوف، تمنيت أن أعانقها..إنها مثلي ، في حاجة إلي زاد العناق . لكني لم أفعل .. لا أدري لماذا ؟

قلت : أحبك جدا :

ابتسمت .بدأ القطار يتحرك ، وأنا بداخله أرحل وحيدا ، ويدها الصغيرة تلوح لي .

.. (٦) ..

بحرعات وجهك

طوفان مجنون ، يعرف كيف يدمر ! !

صرخ أحدهم : - من أنت ؟ من تكون ؟ أنت لاشئ .. أنت تعيش في وهم كبير "علياء" خانتك ، خانتك ، لقد وثقت بنا وباحت

بأسرارك ، ألم تقل لك في إحدي محادثاتها الهاتفية أن تثق فينا لنساعدكم علي انجاح علاقتكم .

قلت بهدوء مصطنع : اذن أنتم الخائنون وليست هي .

- بل هي التي خانتك .. ألم تقل لها .... و .... و ....

كان الرجل يبدو أمامي ككلب مسعور، بداخله سعاروحشي .. كنت أريد أن أذبحه ..لكن كيف أخسر عمري لمجرد تحقيق رغبة في قتل كلب !

أحقا خانت ؟ !

أحقا اشتركت في صنع شباك المؤامرة المدبرة لي .. لا أحد يعرف عني أشياء هامة مثلك .. لا أحد أمنيته مني إلا أنت !! يشتعل الأسي بداخلي .. هل حقا صرت ذئبه تلتهمين الحلم ؟ كنت لي الامل اللامحدود الذي يسع العالم .. كل العالم .. والآن صارالأمل حبلا غليظا يضيق الخناق حول عنقي، أحاول الإفلات من قبضته ، لماذا كسرتني أنت بالذات ولم يكسرني أعدائي؟!

—— .. —— .. ——

أعماقي أصبحت كالعشب اليابس، نظرت من نافذة القطار .. وجدت السماء تزداد الغيوم فيها تكاثفا .. الارض متشققة

.تنتظر الري .

أحدق في السماء ، باحثا عن بريق اجابات لأسئلتي الكثيرة

.. فاجأني بقوله : لمَ لمْ تجبني علي سؤالي؟

أيقنت أن هناك سؤالا مطروحا ..

ـ هل تلك المرأة تستحق كل هذا الحب ؟

ـ لا أدري !!

ـــ لقد خدعت نفسك وخدعتنا ، صورتها لنا ملاكاً نقيا .

لماذا غررت بي ؟ لماذا اغتصبت أثمن ما عندي؟

انني الآن مطرود ، مرذول ، أطلعتك علي ضعفي وحاجتي اليك . لم لم تكوني لي نصريا .. وتكوني لي وطنا يأويني !! هل قدرت وعورة الطريق الذي أسير فيه .. حسبتك تسيرين معي ـلقد تورط في عدم تقديري الصحيح لمساحة فكرك .

قال : أنت في حاجة لأن تنسي .

ـ نعم .. في حاجة لأن أنسي .

عناوين كثيرة ..أرقام تليفونات لنساء كثيرات ..أرخص في بلادنا الرذيلة !

دخلت المرأة حجرتي ..ابتسمت ابتسامة لها معناها ..للوهلة

الأولي ضايقني مكياجها الكثيف الصارخ الالوان .تطلعت اليها بعينين جافتين .. قالت :

ـــ لم لا تساعدني في خلع الفتسان ؟

ابتسمت ابتسامة بلهاء ، ولم أتحرك من جلستي ..بدأت تخلع ملابسها ببطء قطعة .. قطعة .. حتي أصبحت بملابسها الداخلية ..اقتربت مني ، التصقت بي .كان بداخلي رغبة عنيفة لقهر "علياء" وكان بي رفض داخلي في لمس المرأة ..التصقت أكثر وأكثر .. ضائع أنا أبحث عن مرفأ في تيار التيه .

قالت : الآن .. هيا ..

تخدرت أوردتي وشراييني ، لم أكن أعلم أن بيني وبين تلك المرأة سدا منيعا .سداً لا أستطيع تحطيمه أو تجاوزه .صوت علياء يطفو : "هل تستطيع أن تحب امرأة غيري ؟ "

شعرت أنني طفل خائب ، خائف ، مهزوم ، تورط في مشكلة كبيرة ..أسرعت الي دورة المياة ، تقيأت .. عندما عدت ، وجدت المرأة قد انصرفت .

.. (٧)

قلت :- يخيفني أن البئر الذي حفرته لاغراقي، لا أستطيع

هدمه .. يخيفني أن أفشل في لملمة أشلاءنا المبعثرة .

قالت : – أنا لم أخنك .. بعض الحاقدين هم الذين وشوا بك!!

ـ وهل هؤلاء كانوا يعرفون أخص أسرارنا أنا وأنت .

صمتت . . ماتت الكلمات الكلمات في حلقها ..

يارشيقة الفكر أوتاركلماتي صمتت .وحيرتي قاتلة ، وليلي حالك الظلمة ..هل تستطيعين أقفال الأبواب في وجه الريح؟

قالت :– لا تحدثني عن الماضي .

تأملتها بدهشة .. هربت عيونا مني .تيقنت أنا مخدوعان كبيران .

قلت لها : – علمتني التجارب أن إتسامي علي ضعفي .لكن ارادتي في تسامح وشايتك بي، لا أستطيع التحكم فيها، اشعر أني مطعون بك وفيك ..اني خرب فكيف استمد ارادتي ؟ ومن أي شئ غير ذات الانسان يستمد ارادته ؟!

قالت : — لم أستطع أن أتخيل مطلقا أنني سأكون لرجل غيرك .. أحقا من الممكن أن ينتهي كل شئ بهدوء ؟

ثم قالت : – لقد عرفت الألم أنا أيضا ، فهل تقدر ماعانيت ؟!

ـــ لكنك لم تعرفى عمق الألم كما عرفته ..أسير معها ..

مشدودا إلي المساء ، وهي تسير مشدودة الي ذاكرتها التي تجتر الماضي، البحر كان هائجا .. موجودات الطرقات والارصفة كانت غاضبة .وجه المدينة الساحلية كان مصلوبا بين الحلم واليقظة .. حصار [illegible] يكبل نفسي . . تتمرد في نفسي أشياء لا أدري كنهها، [illegible] جني من الذين نحبهم سوي الجراح ، وندخل بداية جديدة .وصلتنا اليها نهاية طريق سرنا فيه .. جلسنا ، ورغم كل شئ ، تمنيت أن أرخي رأسي علي صدرها واتأمل ملامحها عن قرب .

قلت : – انهم يتعقبونني ويفرضون حصارا علي .

حدقت في .. أو مأت برأسها ثم أطرقت صامتة .

قلت : رفضت أن أكون عميلا لهم .رفضت أن ألوث نفسي بالوحل .. كأن قلب أبي يشعر بما حدث .قال : "لماذا يا ولدي نظراتك أصبحت غائمة المعني ؟ كبرت بذرة الحزن في نفسي ، صارت هي ملامحي .. أتطلع الي السماء وهم يجذبونني الي الارض والوحل .

ـ وماذا عن أصدقائك ؟

ـــ بعضهم ما يزال صامدا والبعض الاخر انساق مع التيار

.. إني أتعجب من هؤلاء الذين تسكنهم طاعة عمياء ، لا تتعجبي ، فأبوك كان مثلهم ، من اجل الوصول للمنصب والجاه لكن المنية لم تمهله .

ــ غير معقول .. أنا غير مصدقة .

اكفهر وجهها . تأملتني بذهول .. قالت : كان شريفا جدا ، لقد رفع دعوي قضائية أمام المحاكم بسبب اضطهادهم له .و .. (قاطعتها) لقد اطلعت علي تقارير كتبها بقلمه تدين زملاءه ... هذه هي الحقيقة .

قال : - الله يرحمه ، كان من أهم الشخصيات التي تعاونت معنا .

قلت : - هذا افتراء ، الرجل ، كان يتمتع بالسمعة الطيبة و .. (قاطعني) ..

- .. .. كنت أعلم أنك لن تصدق ، ولهذا أحضرت لك بعض القصاصات التي بقلمه والتي سمح رؤسائي بأن تطلع عليها .

أخرج من درج مكتبة بعض الاوراق، نثرها أمامي .. جحظت عيناي وأنا إبصر .. ورق فولسكاب من الحجم الكبير ، سطورة زرقاء باهتة .. العناوين الجانبية مكتوبة بخط قلم أسود وباقي

السطور مكتوبة بقلم أزرق غليظ الخط باهت في زرقته ..

....

....

....

(ونبح الموظفون ،وسلبت دفاترهم ،ولم تعد لكلمتهم قوة) .

"من وثيقة فرعونية" ..

سرت منكس الرأس .. مذهولا .. كاسفا .. أيقنت أن جموعنا تجري أمام بضعة أفراد .. وأن كل منا يرتدى قناعاً على حقيقة من الصعب اكتشافة حتي بعد موته .

لمت نفسي علي ثرثرتي معها .. لكن كان يجب أن أبوح لعلياء بما عرفت .

قالت: – صديقتي عفاف قالت لي أنك من الممكن أن تهددني برسائلي التي ارسلتها لك ،، وصوري الفوتوغرافية .

قالت:– رسائلك أحفظها من حلاوة تعبيرها، لكنى أحس أنك تنقل بعضها من كتب العشاق والمتصوفة .

قالت : لماذا يراقبونك ؟

حرام عليك أن تذبحني ، وتحاولين سلخي بشكك هذا .. أنني


٩
لا تؤاخذني على
صراحتي

لم أكذب عليك مرة واحدة .. جريمتي صدقي معك .

ياعقلي : اجمع .اشلاءك وقاوم .

—— .. —— .. ——

بعد أن سلم علي وتناول الحقيبة من يدي .. قال : – ليتك تأخرت ولم تحضر اليوم ؟!!

– لماذا ؟!!

– البارحة جاءت الشرطة هنا وقبضوا علي محمود وصفوت وعارف وسألوا عنك كثيرا ، وقال لي الضابط : اذا حضر فلا بد أن تحثه علي الحضور الينا .

صمت..

– من الافضل أن ترجع الي قريتك .

دخلت اغتسلت ، احتسيت كوبا من الشاي .. طرق الباب بعنف ، قمت ففتحته ، وجدت البواب أمامي يقول وهو يلهث : – لقد جاء احدهم الآن وسأل عنك ، لكني قلت أنك لم تحضر حتي الآن من قريتك .

رحت في غفوة علي الأريكة الموجودة في الصالة ، استيقظت علي أصوات جلبة وزعيق .. ارتديت ملابسي وصعدت الي سيارة

الشرطة معهم .

..(٨)..

أهرب .. تطاردني الوجوه الكريهة ، في أيديها السياط ، ترفعها ، تهوي بها علي .. تتجمد ملامح وجهي ، اركض في أرض من الصفيح المدبب ، التفت نحوهم ، لم يعرفوا في عيوني غير الاصرار الذي يشعرهم بفشلهم ، يظنون أني سأحاول أن أستدر عطفهم .. حاصروني .. لم يعد أمامي مفر سوي السقوط في الحفرة التي أمامي او أستسلم لهم .. قررت أن أستسلم للحفرة بدلا من استسلامي لهم .. كانت الحفرة حلزونية .. مليئة بالندوب والنتؤات .. ظللت أهوي وأهوي .. قمت فزعا من غفوتي .. تحسست جبيني الذي يتفصد منه العرق .. رأيت شرطياً يقف بجانبي .. قال : ستدخل حالاً إلي المحقق .

« ودخلت ..»

قال بعد لف ودوران : - المعلومات التي توافرت لدينا تفيد أنك وأصحابك ما زلتم تروجون أفكارا هدامة بزعم الحرية وحقوق الانسان و.. شعارات جوفاء

- ..... رددت عليه بإبتسامة ساخرة .

ــــــ .. ــــــ .. ــــــ

ها نحن أسري اتهامات لم نرتكبها .. حرك الضابط يده ، انطلق الشرطي الواقف بجوارنا معنا .. أدخلنا حجرة مظلمة ، باردة ، لها نافذة كبيرة ، مسيجة بالحديد أرضية الحجرة قذرة .. تشم منها رائحة العفن والرطوبة .. أقفلوا علينا الباب بقفل غليظ صاح عارف بحركة مسرحية : ها نحن أيها المناضلون قد سقطنا تحت سنابك الخيل .

ضجوا جميعاً بالضحك.

كنت صامتاً ، حزيناً ، منكسراً متوتراً .. أتساءل : ماجريمتنا؟.

شريط ذكرياتي مع علياء تجتزة ذاكرتي .. أمسك يدها ، تصعد علي الطوار ، تجري وأنا أمسك بيدها و تقول بصوت خفيض : أمسك يدي حتي لا أقع .

المطر بالخارج يعانق الارض ، يصنع فيها الوحل ،.. البرودة تغزو الحجرة من الشباك الحديدي .. والحجرة خالية الا من أربعة

أشخاص .. تتحرك تحاول أن تخترق الظلمة .

قال صفوت : - تصوروا صديقتي قالت في آخر لقاء جمعنا : عقلك ليس معك وأنت معي ، هل كل الرجال ينامون مع النساء وهم حزاني مثلك؟

انفجرنا ضاحكين ، وصمتنا فجأة .. نتأمل سؤال صديقة صاحبنا .

―――― .. ―――― .. ――

(ها أنذا جئت أعاين جمالك، لم ارتكب الظلم في الناس ، لم أقتل ولم آمر بالقتل ، لم أكذب ولا أذكر أني خنت عهداً ، لم أعص الأوامر الالهية ، لم أرتكب الوشاية ، ولم أحرض أحدا علي رئيسة، لم اجع أحداً ، لم أسرق من التقدمات الي الهياكل والمقابر ، لم أطفف كيل القمح ، ولم أغش قياس الذراع وفي حد الحقل ، فأنا نقي.. نقي .. نقي)

" من كتاب الموتي "

―――― .. ―――― .. ――

("أنا عاشق ولهان، وقد عذبني الحب ، وملكت

الحبيبة علي مشاعري فأنا أراها في كل مكان ،
وأراها علي وجه الخصوص اذا سجي الليل ..
ولكن ليلي ليست ليلي العامرية ولا ليلي الاخيلية ولا
ليلي المريضة بالعراق ، بل ولا ليلي مراد ..

وانما ليلي المصرية ، ليلي الهيفاء السمراء ، ذات
الشعر الفاحم والعيون الصحاح العراض .

إنها سعادتي وبلائي ، شقوتي وهنائي .. أحبها
حبا يقرب من الجنون ، وأغار عليها غيرة المفتون ..
وأن أشقي ما يشقيني أن أري جانبها اجنبيا ،
إشقر ذا عيون زرق يغازلها ، ويحاول أن يصل إلي
قلبها ويل له مني .. والله لأقتلنه ، أو يبتعد عن
طريق ملاكي " .

" من أعترافات السجين السياسي محمود مراد
المتهم في حادثة مقتل " أمين عثمان "

—— .. —— .. ——

لاتسألني :

كيف يحاولون سرقة اسمي وتضييع ملامح وجهي واغتصاب عمري ..

ترى : هل راهنت علي جواد خاسر ام راهنت علي جواد ميت كما تقول علياء .. لست ادري.؟!

(تمت)

١٩٨٩/١٠/٢٧

(١) الطريق

صدقني : يمكن أن تصل إلي ماتريد دون أن يتعرضوا لك ..لاتقل ان هذا من المستحيل أو أني واهم .ياصديقي : أنت لاتعرف هؤلاء كما أعرفهم .. التجارب علمتني الكثير ..لاتؤاخذني علي صراحتي ..هيا انطلق، واصل المسير ولاتخف .. عندما تقترب منهم ، سيتصدون لك .دعهم يشتمون .يتفوهون بكلمات مغلولة .يهتفون بشعارات براقة ..اذا اقتربوا منك .والتفوا حولك .وحاصروك ..لاتبال ..اصرخ فيهم .تزيد رهبتهم منك ..لاتخشي العصي التي في أيديهم ..لاتخش الحجارة ولا القضبان الحديدية .. كانوا قديما يثورون .. يثأرون .. أما الآن ..لاتنتظر منهم غير الخوف !!

(٢) الهزيمة

نزل من بيته مسرعا .. عانقت قدماه أرض الشارع ..إلي أين؟.. لايدري !! كل ما يوده الآن أن يكون بعيدا عن أعين الناس .شعر بالتعب يغمره من رأسه حتي أخمض قدميه .. . الضجر جاثم علي صدره .. الألم ينخر في رأسه كدودة نشيطة .. طوال حياته يشعر أنه منزو انزواء مهزوما في ركن قصي من الحياة .. تمتم في نفسه "ملعون جمال ومال زوجتي " .

إلي متي ستظل كرامته مشروخة أمام نفسه ؟ لقد مل من الحياة .. تجرع المهانة الي حد الثمالة .. بتر أفكاره .. انتفض قائلا في ذاته " لابد أن أقوم هذه المرأة وأجعلها تسير علي الطريق السوي ، كفاني خضوعا واستسلاما" قفل عائدا .. دس المفتاح في الباب ..لم يجدها في الصالة .تمني لو قابلها في تلك اللحظة .. وصفعها .. يجذبها من شعرها..انسل داخلا .قابلته زوجته .صرخت في وجهه :

ـ أين كنت ؟

نظر إليها بعينين مشدوهتين ..الشذر يتطاير منهما .ثم مالبث أن تلاشي كل ذلك .ولم يبق علي وجهه الا ابتسامه مشوبة بغمامة قاتمة .دلف الي الداخل صامتاً .. متخاذلاً .

(٣) الصعود

شعرت برائحة ماتصل إلي أنفها .. كلما صعدت السلم ، ازدادت الرائحة .. انها رائحة عفنة تغمر المكان .. لاتدري لماذا تذكرت أول مرة صعدت فيها سلم مثل الذي تصعده الآن .. كانت يومها خائفة .. وجلة .. شاحبة اللون ..أما بعد ذلك فما أسهل الصعود والهبوط .

وقفت أمام احدي الشقق .. ضغطت علي ذر جرس الباب .. فتح الباب .رحب بها .. وهناك أضاء المصباح .. في خضم النشوة . لاتدري لماذا تذكرت أول رجل أضاء المصباح وهي تطفئه!!

بعدأن انتهي كل شئ .. استلقي الرجل بارتياح .قامت بخفة الغزال . . ارتدت ملابسها .. فتح الرجل حقيبتها .. وضع فيها عددا من الأوراق المالية . ودعها بابتسامة لم تفهم معناها .واصلت رحلتها في صعود درجات السلم .

(٤)الملامح القديمة

قمتُ من نومي مبكرا كعادتي .توضأت وصليت ..استيقظت زوجتي وأولادي .. البيت أصبح يعج بالحركة والنشاط كخلية نحل .. دلفت إلي حجرتي ..ارتدي ملابسي .نظرت في المرآة .عجبا .وجدت وجهي ملامحه منكمشة .شاربي يكاد يختفي وسط تجاعيد لم أرها من قبل .عيناي ، كأنهما عيني شخص آخر غيري ، كأنني ألبس قناعا يواري ملامحي الحقيقية .. تعجبت مما رأيت .. ظننت أن عيني قد خدعتني ، فخيلت لي ما لا وجود له .. مسحت عيني بعناية بالغة . تفرست من جديد ملامح وجهي في المرآة .. لكن .. لا فائدة! وجهي لايزال يبدو منكمشا .خرجت قاصدا عملي . لكن ما رأيته كان عجيبا حقا .. الناس في الشارع وجوههم منبعجة منكمشة تأملت وجوه زملائى وزميلاتى فى العمل وجدت وجوههم منكمشة أيضاً .. لاشك أن مرضاً ما .. أصاب عيني ، فتخيلان لي ما لا وجود له .. قررت أن أذهب الي طبيب ..لكن خاب ظني بعد فحص دقيق .. وطويل .. أخبرني أن عيني لايوجد بهما أي مرض أو أعراض أي مرض

..انما ما يعتريني مجرد وسواس .

في بداية حياتي كنت شعلة متأججة من الحماس للحق، أما الآن .جرفني تيار الحياة .نعم ياسيدي : لقد خنتُ مبادئي .كنت أريد أن اقول هذا الطبيب لكني لم أقله !!

في الليل : كنت أسير وحدي في الطرقات بلا هدف .


١٠
(امرأة فى الغربة)

العطاء هو الشئ الذي يثبت أنك المالك الوحيد لأي شئ، فالذي لا تستطيع أن تعطيه هو الذي يتحكم فيك ويمتلك أنت نفسك !

" أندريه جيد "

"مقدمة "

أمسك فرشاتي ، أرسم وجهك ، امحو وجهك بالممحاة !!

ويلي لو أخطأت الفرشاه !

أرسم وجهي .. أمحو وجهي .

أخشي أن أتناسي بعض ملامح وجهي !

هل حقا وجهي يحمل أحزان العالم ؟!

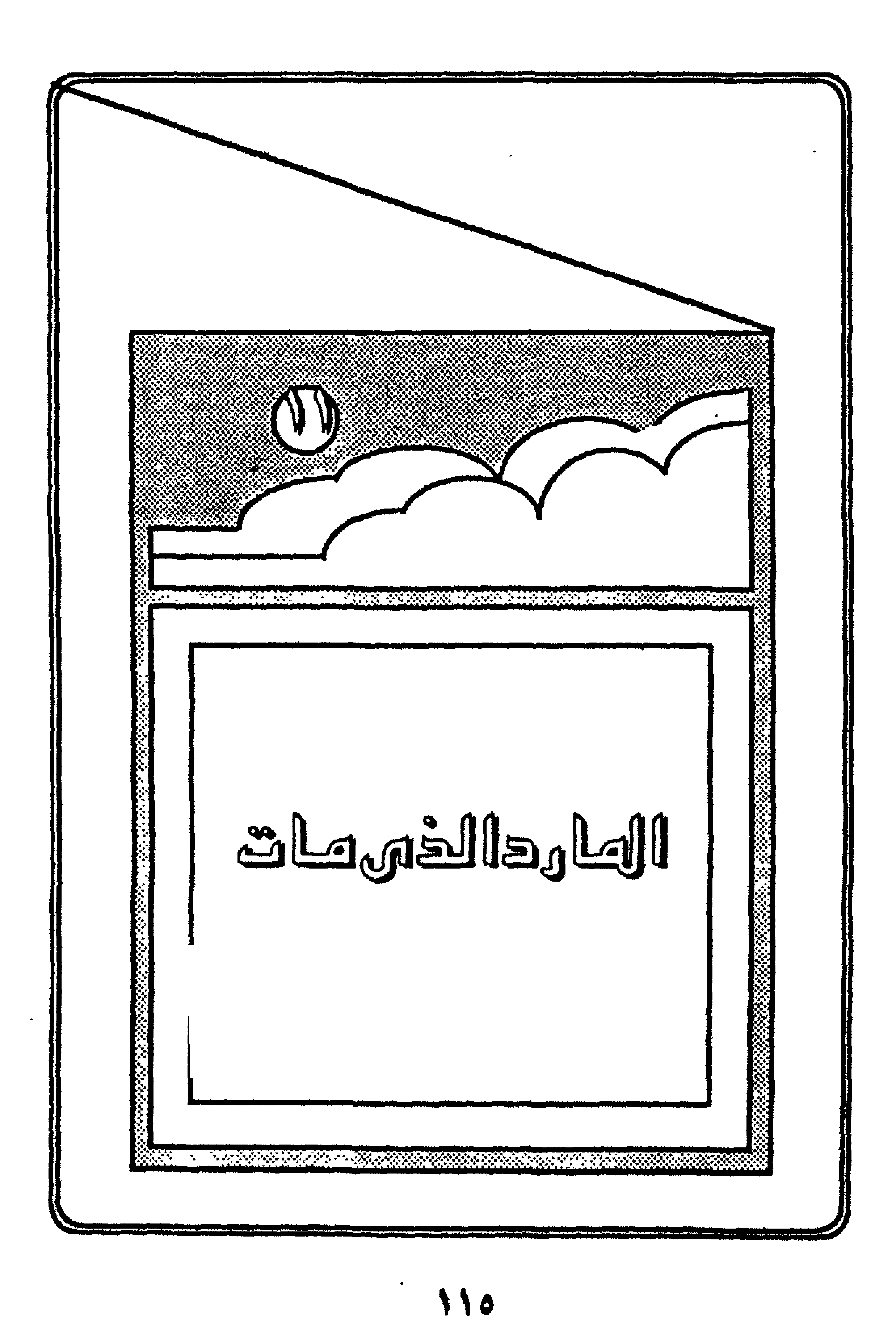
– وجهي يخرج كل مساء ، يتجول في طرقات مدينتنا ، يغني للعشق المقهور ، يجفف أحزان الفقراء !

(١)

" حين التقينا "

قالت :

لا تسألني أي سؤال !! لا تسألني أين بطاقة تحقيق


١١
المارد الذى مات

عند مفترق كل طريق أري ذلك الوجه .. أيكون مجرد كابوس مزعج !!

أصحو فزعاً من نومي .. كنت أراه يجرني الي بئر مرعبة .. ينطلق بي عبر بيداء لا نهاية لها .. أسمع صوته عواء مخيفاً .. تهتز أعصابي .. أعرف أن أنيابة تتربص بي .. يراود فكري دائماً .. أحياناً يعيش الانسان مكبلاً بالسلاسل ولا يشعر بذلك " .. أغيب عن دوامته الفظيعة التي تدوخني.. تجعل أعصابي مهترئة .. أري وجهي في المرآة غارقاً في الارق خلفي واقفاً يبتسم بسخرية .. يخرج لسانه .. أغرق في بحار الدهشة والرعب .. أحيانا أخاف أن أضعف .. أهتز .. انزلق مثل مئات البشر في بئره الذي لا قرار له .. أخشي أن انهار .. أتمتم في نفسي " لا بد أن أقاوم .. لا بد أن أرفض تدخله في حياتي " يصرخ في وجهي :

- إلي متي ستستمر مقاومتك ؟ سيأتي اليوم الذي تستسلم فيه .. أنصحك ألا تخدع نفسك مقاومتك درب من العبث أو قل من الجنون .

أسأل نفسي بأسي وشك :" أليست المقاومة أمراً مضحكاً.. سخيفاً ؟ "

غاب عني لفترة من الزمن .. لست أدري أين كان ؟ أو لماذا غاب؟ هذه المسألة لم أشغل نفسي بها ، حتي لا أتعب أعصابي ..

رأيته مرة أو مرتين بطريق المصادفة .

لكن :

عندما وجدت نفسي أمام قرار خطير في حياتي .. عاد يتأملني بصمت .. حاول أن يخترق فكري ايضاً .. عندما أحس بفشله بدأ يتكلم مستعيراً طريقة الواعظ الحكيم الناصح لكنه فشل ايضاً فلم يجد مني اذناً مصغية .حاصرني .. أعصابي توترت .. أعلم جيداً أنه يستطيع هدم اعلي قمة باقناعه وطريقته المعسولة .. لكنه لا يستطيع أن يضع لبنة فوق لبنة !!

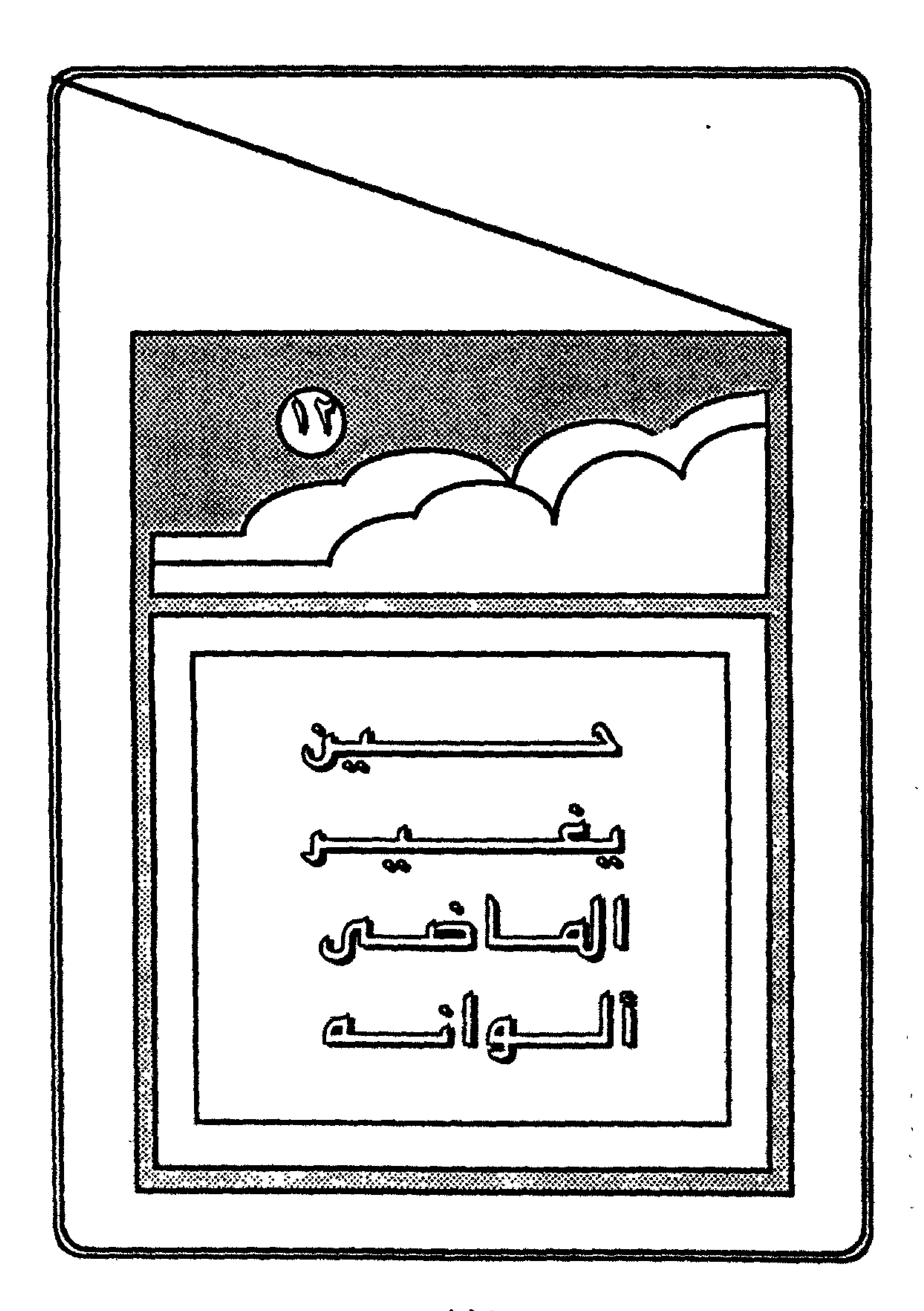
لكن ما بالي اليوم أتركه يعبث بي !!

أنصت له وأنا أفكر ، أي القرارين أتخذ ! هل أسلك الطريق السوي الذي بدأت حياتي به أم اتجه للمنصب .. المال .. إنني ضائع .. تائه .. يسخر من ترددي .. فكر صار خيمة بلا اوتاد .. تتغلغل اغراءاته داخلي بفظاظة .. أذرعة كأذرع الاخطبوط تعتصرني .. صوته يهمس .. يوسوس لي .

أفقت ..

.. عدت إلي إيماني اكثر صلابة .. أتخذت قراري .. مع أول شعاع للشمس .. وجدته يتقهقر مخذولا ، بعد أن كان مارداً فتياً .. يذوب ويذوب ويموت .

[تمت]


١٢
حين
يغير
الماضى
ألوانه

" لا تقتل خصمك ، وانما اجلس علي حافة النهر
وانتظر ، وسوف تري جثته طافية فوق الماء "
-حكمة صينية-

....

أنت انسان طيب يا حامد ، ليت كل الناس مثلك

نعم : هذه هي الحقيقة .

لا تقاطعني حتي لا تتعثر الكلمات في حلقي .. دعني اتحدث اليك بحرية . لم يكن أي واحد منا يمت للآخر بصلة قرابة ، لكن المشاعر المتبادلة تنسج علاقات أقوي من روابط الدم ، سأصارحك بكل حقائق حياتي، سأرويها لك ، لم أعد أستطيع أن أضع علي جراحي شيئا سواك .. انني اعتدتك ، وكم تمردت علي هذا الشعور وصددتك .. هل ستقدر ما عانته امرأة تعيسة الحظ مثلي ، ما من خلاص من ذكريات ماضي الحزين ، انها تطبق علي صدري كقطعة صوان ، فلا تبارحني دون تجديد للأحزان ، انها تهزني بعنف .. إن ما اقوله يا حامد لك ، ليس اعترافات لسيرة ذاتية .. فالذين يقدمون اعترافاتهم يشعرون بذنب ما ، ويكفرون عنه باعترافهم به ، وأنا .. أنا كنت المجني عليها في قصة تعسة . القدر مؤلفها .. إن الذين يسجلون سيرهم الذاتية اناس مهمين .. ولا أظن حياتي مهمة لدرجة تسجيل سيرتها .

(قالت الأم)

توفي زوجي وتركنا وحنان ابنتنا الوحيدة ، وحيدان ، لا أهل ، لا خلان ، لا مال .. واجهنا قسوة الحياة ، تعاون معنا الجيران الطيبون في تصفية حسابات زوجي التجارية وايداع ما تبقي بعد تسديد الديون والالتزامات في البنك ، ليدر لنا عائدا شهريا نعيش منه – اعذرني يابني الدموع تتساب من عيني لا اراديا ، لا أجد وأنا أتذكر إلا العويل بين جنبات نفسي ، آه .. من المواقف التي تختزلها الذاكرة – عشنا حياة متقشفة ، إلي أن تخرجت " حنان " في الجامعة ، وعملت في احدي الوظائف ، تقدم لها شاب تعرفت عليه من خلال عملها ، استشرنا الجيران .. نصحونا بعدم قبوله ، وأخبرنا ه برفضنا ، لكنه لم يقنع بالرفض ، عاد مرة أخري والح علينا كثيرا .حتي لنت له ولانت " حنان " بحجة أننا في حاجة الي رجل يحمينا .. كان شابا نحيلا لا يخلو من وسامة .. كان في أول معرفتنا به وديعا طيبا .. وتم زواجهما في نفس شقتنا" بعد عامين من زواج حنان به .. بدأت تدب بينهما الخلافات .. قال انه يشعر بأنه ضيف في هذا البيت ، لان كل شئ فيه مكتوب ومسجل باسم " حنان " .. عقد الشقة .. عقد التليفون .. عداد الكهرباء .. هو يريد أن يكتب هذه الاشياء بأسمه .. وحين رفضنا هاج وماج وغادرنا ، ولم يرجع الي البيت إلا بعد أن استسلمنا لرغبته .. وكثرت الخلافات بيننا وبينه يوما بعد يوم .. إلى ان طلق " حنان " وطردنا من شقتنا .. وفي يوم كئيب رحلنا بعد أن بعنا كل ما نملك حتي البيانو القديم الذي

كانت تعزف عليه حنان في ساعات الصفاء .. وغادرنا الحي بل المدينة كلها الي مدينة أخري .

(قال الجيران القدامي:)

كل ما نعرفه عن حنان وأمها وأبيها الراحل انهم أناس طيبون ، يتمتعون بالسمعة الحسنة ، لكن بعد أن تزوجت " حنان " بدأت المشاكل تتزايد ، فكثيرا ما كنا نسمع صراخ حنان وأمها وزوج حنان ينهال عليهما ضربا بوحشية ، بسبب وبلا سبب ، فأصبحتا يخشيانه ، كأنه شيطان رجيم ، فكان كثير السهر في الخارج ، سمعته سيئة بين سكان الحي .. تدخلنا كثيرا فى الاصلاح بينه وبين حنان وأمها ، لكنه رجل لا يطاق ، فنصحناهما بابلاغ الشرطة ، لكنهما كانتا تتوهمان انه أقوي من الشرطة وأقوي من أي شئ .. وعرفنا أنه طلق حنان واستولي علي شقتها وفوجئنا ببيعها الاثاث ورحيلهما .

(قال صديقه الطبيب النفسي)

حنان يخيل اليها الآن أن كل الرجال كزوجها ، فمخيلتها وعقلها الباطن يختزلان صورة زوجها وهو يضربها ويطردها ، كوحش من وحوش الأساطير .. و الدليل علي خوفها منه – من الصورة او النمط المتخيل – خوفها من الاقتراب من الحي القديم الذي كانت تسكن فيه ، رغم أن به صديقاتها .. وحل هذه المشكلة بيدك أنت .

(ما حدث في الحي القديم)

ذهبت إلى الحى القديم مع " حامد " أوقفت سيارتها أسفل

العمارة التي كانت تقطنها ، رفعت رأسها ، تطلعت الي اعلي ، لاحظت أن البيت قد ازداد قتامة سواداً ، السواد كثيف علي شرفة ونوافذ شقتها القديمة ، ما إن دلفت من باب العمارة حتي قابلت إحدي صديقات طفولتها ، رحبت بها ، احتضنتها ، اجتذبتها إلي شقتها وأخذت تسرد لها ما حدث بعد رحيلها :

" زوجك السابق - سامحه الله - قد تزوج بعد طلاقك بشهور من زوجة لم يرها ولم تره قبل الزواج ، انجب منها بنتين ، وأساء ، معاشرتها كما فعل معك ، ضربها عدة مرات ، فصبرت عليه ، عسي أن يتغير ، ثم ضربها مرة ، فأصابها بشج عميق في رأسها ، فاصطحبت طفلتيها وخرجت من البيت وهي تنزف دما ، ولم تمض ساعتان حتي جاء اهلها ، فضربوه ضربا مبرحا في شقته ، ثم ساقوه علي السلالم وهو يتدحرج أمامهم ، ثم تبادلوا ضربه واهانته في الشارع تحت أنظار الجيران .. وأجبروه علي طلاقها .. وبالفعل طلقها وأصبح كالذليل يندب حظه ويتوسل إلي أهل زوجته لاعادتها " لكنهم رفضوا ، وأصبح لا يري طفلتيه إلا مرة كل شهر ، هو الآن يشكو الظلم ، لقد غطس صوته القوي في بئر الهزيمة .. أما ما حدث للشقة التي اغتصبها منك ، فكان أشبه بانتظام الهي حدث في مشاهد من سيناريو فيلم تسجيلي ، الصورة فيه تغني عن الوصف ..

المشهد(١)أمام باب الشقة.

- لقطة عامة لأهل زوجته وهم يأخذون أثاث الشقة وينقلونه كله ، وهو واقف يتمتم ويتحسر .

* الكاميرا تقترب من ووجهه ومن ملامحه المنكمشة *

– تسلط لقطات سريعة ومتتاليه علي الوجوه : رجل ضخم يقف علي باب الشقة / امرأة ضخمة الملامح تضحك بسخرية / امرأة شعبية ذات مكياج صارخ تحث العمال علي أن ينقلوا الاثاث بسرعة وأن يحرصوا علي ألا يكسروا شيئا منه / الجيران متجمعون علي السلالم .

– لقطة للسيارة التي تحمل الاثاث .

– لقطة للسيارة وهي تبتعد وهو واقف امام باب العمارة وحده.

– لقطة للشقة وهي خاوية .

المشهد الثاني(٢)في مطبخ الشقة/داخلي.

– لقطة قريبة من وجهه تعكس ملامح الضجر .

– لقطة لموقد الغاز والانبوبة القديمة (علي المصور أن يكون ذكيا في تركيزه علي المنظم التالف)

– لقطة للنيران وهي تشب في المطبخ وتشمل الشقة .

– لقطة له وهو يقاوم النيران ويحاول اطفاءها فتحترق يده .

– لقطة لرجال المطافئ وهم يحاولون اخماد النيران .

المشهد(٣)في الشقة/داخلي.

– لقطة لآثار النيران علي الجدران والاسقف والنوافذ والابواب وأخشاب الارضية.

– لقطة متوسطة ليده المحترقة الملفوفة في الشاش

والضمادات .

– لقطة طويلة لمحتويات الشقة : الحشية ، كروسيين ، موقد سبرتو ، عدة أكواب زجاجية .

– لقطة وهو يبكي وحيدا .

المشهد (٤) علي باب الشقة ليلاً "فلاش باك"

– لقطة وهو يضرب حنان ويركلها هي وأمها وهي تتدحرج علي السلالم .– لقطة لحنان وامها ساعة رحيلهما من الشقة .

– لقطة لزوجته السابقة واهلها وهم يضربونه ويدحرجونه علي السلالم .

– لقطة وهم يأخذون الاثاث ويتركونه ذليلاً وحيداً .

لا أخفي عليك يا حامد وصديقتي تحكي لنا ما حدث ، كانت أنفاسي تتلاحق وصدري يعلو ويهبط كأنه يكسر قيودا تكبله ..

حامد :

ها أنت تجعل جراحي تندمل وتحاصرني باجاباتك علي أسئلتي المبتورة ، المؤلمة .. كل ملامحك كانت تقف بجواري لتجعلني قوية ، أشق شرنقتي ..

حامد : هل ستشتري لي بيانو جديداً .

ابتسم تعانقت ابتسامتهما .. أجالت بصرها في الظلام ، السواد يتوالد باستمرار من أعماق سحيقة ، لكن ينبعث وميض نجم ما .. فيزحف الوميض نحو العتمة الخانقة ، فتنكمش كثافة الظلام .

(تمت)

الفهرس

تحت الطبع

- القصة القصيرة في أدب المرأة السعودية "دراسة ومختارات"

الناشر : مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر

- الرحيل عن مدن الهزائم " مجموعة قصصية"

الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب

" لقد عشت علي أفكاري .. لا أريد أن تزعزعني أي ريح .. أياً كانت ، يوم أحاطت بي الكلاب من كل النواحي، تريد افتراسي ، تركتني وحدي بين مخالب مجهولة .. كنت أراك في سجني وفي عينيك شماته غريبة.

– النضال من أجل المبدأ ، حتي وصل بك المبدأ الي الاعتقال .. الي السجن ، ارتعش لخديعتي فيك ...

الدجي يرجمني .. والشمس التي انتظرها تعدو أمامي ذبيحة.."

هذا هو العالم الإبداعي لقصص مجموعة "احزان رجل لايعرف البكاء" للقاص خالد غازي والذي نقدمه في بواكير أعماله القصصية المتأججة بالرغبات والطموحات والنزوات أيضاً . والرغبه في تجاوز الذات وتحقيق التميز الابداعي .

